جامعَة الملك فيصَل

نظام التعليـم المطور للانتساب

كلية الآداب – الدراسات الإسلامية

اسم المقرر

((الاسْـتِـشْـراقُ والدِّراساتُ الإسلاميـة))

أُستاذُ المقرَّر

د. محمد سعيد صبري صباح

إعداد وتنسيق

أخوكـم ومحبكـم /أحمد المالكي

@QalmalkiQ

المحاضرة التمهيدية

أهداف المقرر

- يهدف هذا المقرَّر إلى تزويد كلٍ من الطالب والطالبة بما يأتي: -

١. القدرةَ على عرض نماذج للدراسات الاستشراقية حول الإسلام.
٢. القدرةَ على تبيين طريقة تفكير الغربيين، ونظرتهم للدين الإسلامي.
٣. القدرةَ على الموازنة بين مناهج المستشرقين.
٤. القدرةَ على رَدِّ دعاوى المستشرقين غير المنصفين.

محتوى المقرَّر (أيْ: توصيفُه)

يشتمل هذا المقرَّر على مفردات تم اختيارها بعناية؛ مساعدة للطالب على تحقيق الأهداف المَرْجُوَّة من دراسته لهذا المقرَّر، وهذه المفردات هي الآتية: -

١. العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي خلال (العصور الأولى) و(العصور المظلمة) في أوروبا.
٢. تاريخ الاستشراق.
٣. أهداف الاستشراق.
٤. آثار الاستشراق.
٥. علاقة الاستشراق بالتنصير.
٦. علاقة الاستشراق بالاستعمار.
٧. المستشرقون والقرآن الكريم: غوستاف لوبون وغولد تسيهر؛ نموذجاً.
٨. المستشرقون والسنة النبوية:" كولسون، آرنولد توينبي، جب"؛ نموذجاً.
٩. المستشرقون والدراسات الفقهية: شاخت؛ نموذجاً.
١٠. المستشرقون والعلوم والصناعات والاكتشافات عند المسلمين.

مراجعُ المقرَّر

- المرجع الرئيس :

١) الاستشراق والدراسات الإسلامية ؛ تأليف: عبد القَهّار داود العاني . [عمّان (الأردن) – دار الفرقان للنشر والتوزيع – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م].

- المراجع المساعدة :

١) الاستشراق ؛ تأليف: إدوارد سعيد.
٢) حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي؛ تأليف: سالم ياقوت.
٣) تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا؛ تأليف: يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم .

المحاضرة الأولى

خطبة الحاجة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب] .

العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي خلال العصور الأولى و العصور المظلمة في أوروبا

عناصر المحاضرة

- ❑ مراجع ومصادر تعليمية للتوَسُّع والبحث العلمي.

أولاً : الغرب النصراني الأوروبي يعيش عصوراً مظلمة.

ثانياً : الشرق الإسلامي يعيش عصوراً مشرقة.

ثالثاً : تَبَدُّدُ ظلام الغرب النصراني باستيراده علوم الشرق الإسلامي.

رابعاً: العلاقة بين الجهتين بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

وسأتحدث هنا بخصوص الأمور الثلاثة الأولى، على أن أستكمل الحديث بخصوص الأمر الرابع في المحاضرة الثانية بمشيئة الله سبحانه.

مراجع ومصادر تعليمية للتوَسُّع والبحث العلمي

- ❑ إضافة لما ذكرته من مراجع في المحاضرة التمهيدية: أوَدُّ قبل البدء في هذه المحاضرة الإشارة إلى أنَّ هناك مراجع ومصادر تعليمية أخرى مفيدة وأنصَحُ بها الطلبة الراغبين في التَّوَسُّع الدِّراسي أو إعداد البحوث العلمية ذات الصلة بهذا المقرَّر؛ وهي الآتية: -

١. الاستشراق الفرنسي المعاصر؛ تأليف: ميشال آلار.
٢. الاستشراق أهدافه وآثاره؛ تأليف: عبد القهار العاني.
٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري؛ تأليف: محمود الزقزوقي.
٤. التبشير والاستعمار في البلاد العربية؛ تأليف: عمر فروخ والخالدي.
٥. الثقافة الإسلامية وقضايا ثقافية معاصرة؛ تأليف: محمد عبد الله حياني.
٦. رؤية إسلامية للاستشراق؛ تأليف: أحمد غراب.
٧. صور استشراقية؛ تأليف: عبد الجليل شلبي.
٨. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي؛ تأليف: محمد البهي.
٩. محاضرات في الاستشراق والدراسات الإسلامية؛ تأليف: محمد عبد الدايم الجندي.

١٠. المستشرقون؛ تأليف: نجيب العقيقي.
١١. المستشرقون والإسلام؛ تأليف: عرفان عبد الحميد.
١٢. المستشرقون بين الإنصاف والعصبية؛ تأليف: محمد علوي المالكي.
١٣. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام؛ تأليف: علي الشحود (نسخة إلكترونية – المكتبة الشاملة).
١٤. مناهج المستشرقين؛ تأليف: مصطفى الأعظمي.
١٥. مناهج المستشرقين؛ تأليف: مصطفى الشكعة.
١٦. مناهج المستشرقين؛ تأليف: محمد السويسي.
١٧. مناهج المستشرقين؛ تأليف: محمد بن عبود.
١٨. موسوعة المستشرقين؛ تأليف: عبد الرحمن بدوي.

- وهناك مواقع الإلكترونية يمكن الاستفادة منها أيضاً بهذا الخصوص، وهي كثيرة؛ فمنها: -
  - مركز المدينة لدراسات الاستشراق http://www.madinacenter.com
  - ملتقى أهل التفسير http://www.tafsir.net

أولاً: الغرب النصراني الأوروبي يعيش عصوراً مظلمة

- المقصود بالعصور المظلمة: -

عاش الغرب النصراني الأوروبي مرحلة تاريخية عُرِفت لدى المؤرخين باسم (العصور المظلمة) أو (القرون المظلمة) ؛ وهي الفترة التاريخية الممتدة من أواخر القرن الخامس الميلادي إلى أواخر القرن العاشر الميلادي ؛ أي: هي القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى. بل إنَّ البعض قد عَدَّ العصور الوسطى بأكملها [والتي هي - بالتحديد التاريخي التقريبي - الفترة الممتدة من سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد الجرمان (سنة: ٤٧٦م) إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية على يد الأتراك العثمانيين (سنة: ١٤٥٣م)] عدَّها عصوراً مظلمة فيما يخص الأوروبيين.

- سبب هذه التسمية: - أمّا سبب تسمية هذه المرحلة من تاريخ الغرب النصراني الأوروبي بهذا الاسم (العصور المظلمة) فيمكن إرجاعه إلى غرق معظم أوروبا حينذاك في ظلمات كلٍّ من :

١. الفوضى والغوغائية وانعدام النظام.
٢. غياب الحياة المدنية.
٣. الجهل والتخلف العلمي.
٤. العنصرية والتعصب الديني.
٥. كثرة الحروب والصراعات العرقية.

ثانياً: الشرق الإسلامي يعيش عصوراً مشرقة

حاول بعض المستشرقين سحب الظلمات التي كانت تغطي أجواء أوروبا لتشمل معهم الشرق الإسلامي المسلم؛ مدَّعين زوراً وبهتانا أن التاريخ العالمي بأكمله قد مرَّ بمرحلة العصور الوسطى وأنها كانت عصورا مظلمة في حق جميع الشعوب.

لكن الحقيقة الماثلة أمام الجميع والتي لا يمكن طمس معالمها وتغييرها هي غير ذلك؛ ففي الوقت الذي كان الغرب النصراني الأوروبي يعيش تلك الأوقات العصيبة المظلمة كان المسلمون في بغداد وغيرها من حواضر الشرق الإسلامي يعيشون عصراً ذهبياً، مشرقاً بنور الإيمان والعلم والازدهار الحضاري. فهما حالتان متناقضتان في الغرب النصراني والشرق الإسلامي، ينبغي عدم تعميم إحداهما على الأخرى.

تقول الدكتورة نجلاء عز الدين – وهي باحثة أمريكية الجنسية عربية الأصل – في كتابها (العالم العربي):((تعتبر العصور الوسطى عادة أنها عصور مظلمة ، وفي هذا الاعتبار تجاهل للنشاط الثقافي الجاري حينذاك في الشرق الأدنى وتأثيره على أوروبا، وهو يعطي صورة مغلوطة مشوهة عن تطور الحضارة العربية. والحقيقة هي أننا لو درسنا الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى وجدنا تلك العصور تضاهي في إشراقها أي عصر آخر من الإبداع والإنتاج في التاريخ)).

وقد ألقى المستشرق المنصف المدعو (جورج سارتون) نوراً ساطعاً على هذه المرحلة التاريخية للتطور البشري في كتابه العظيم (مقدمة لتاريخ العلم)؛ حيث تتبع فيه المعرفة ونمو الفكر البشري من الصين شرقاً إلى إيرلندا غرباً خلال ألفي سنة من التاريخ؛ من (هوميروس) قبل الميلاد حتى آخر القرن الثالث عشر للميلاد، وقسَّم بحثه الشامل هذا حقبات زمنية؛ مدة كل حقبة منها نصف قرن، ويحمل كل منها اسم المفكر أو العالم الذي نبغ فيه.

وقد احتل النتاج العقلي للحضارة العربية الإسلامية مرتبة متقدمة في هذا الكتاب؛ بل كان في الطليعة الأولى؛ حيث حملت حقباته أسماء الكثيرين من علماء العرب والإسلام، منهم - على سبيل المثال لا الحصر- العالم الكيميائي المسلم جابر بن حيّان، الذي ورد ذكره في ذلك البحث في سياق الكلام الآتي: ((ولم تكد تمضي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم؛ أي: في القرن الثامن للميلاد حتى أصبح العراق مركزاً لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربي الجديد من قوة فتية وعزم متوقد تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق المنشأة حديثاً: البصرة والكوفة وبغداد.

والنصف الثاني من هذا القرن – أي: القرن الثامن للميلاد - هو عصر جابر بن حيّان، المعروف عند الأوروبيين في العصور الوسطى، وهو أعظم رجال العلم في تلك العصور... وتأثير جابر واضح في سياق تاريخ الكيمياء في أوروبا)).

وقد عدَّ (سارتن) القرن التاسع للميلاد قرناً إسلاميا؛ بسبب التفوق العارم لمؤلفات العلماء والباحثين المسلمين على ما أنتجته الأقطار الأخرى، وأكّد على أنَّ هذا التفوق قد استمر طوال القرن العاشر للميلاد؛ حيث نشرت جميع الاكتشافات الجديدة والآراء الحديثة باللغة العربية التي كانت حينذاك (الوسيلة الدولية للتقدم العلمي)، ولم يُنْشر باللغات الأخرى سوى النزر اليسير.

ثالثاً: تَبَدُّدُ ظلام الغرب النصراني باستيراده علوم الشرق الإسلامي.

- ❑ اشتد النشاط العلمي عند المسلمين في القرن الحادي عشر للميلاد ؛ فبلغت فيه الحركة العلمية ذروتها في العصور الوسطى، وصار العلم عندهم مناراً يُهْتَدى به في ظلمات تلك القرون التي كان الغرب النصراني الأوروبي يعيشها حينذاك.
- ❑ ولمّا أدرك الغرب النصراني الأوروبي تلك الحقيقة التي رآها ماثلة أمامه؛ حرص على استيراد العلم من العالم الإسلامي لكي يُبَدِّدَ به الظلمات التي كان يعيشها، وعمل على نقله إليه بطرق كثيرة، كان منها ما يأتي: -

✓ طريق الأندلس: البلد الإسلامي الذي كان حينذاك محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل؛ فمن الأندلس العربية الإسلامية انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا.

✓ طريق الترجمة: وقد كان من أقدم المترجمين الأوروبيين وأعظمهم كل من: -

١) المترجم (أديلارد أوف بان) ، الذي تعلم اللغة العربية خلال زيارته لصقلية وسوريا ، وكان شديد الإعجاب بالعلوم العربية.
المترجم (مايكل سكوت) ، الذي تعلم اللغة العربية في الأندلس، ثم دخل في خدمة ملك صقلية (فردريك الثاني) وترجم العلوم والفلسفة من العربية ، وكان أحد مؤسسي فلسفة ابن رشد اللاتينية.

✓ كما حث كثيرون من علماء أوروبا طلابهم على التوجه إلى مدارس العرب للاستفادة من علومهم ؛ فمن هؤلاء(روجر باكون)؛ الذي كان كثير الإعجاب باللغة العربية وعلومها، وأشار على طلبته بهجر مدارس أوروبا والالتحاق بمدارس العرب.

وهكذا؛ لمّا بلغت شموس العلوم الإسلامية آفاق الغرب النصراني تسببت في تبديد ظلامه، ومهدت لنهضته فيما بعد.

وخير دليل على اعتماد أوروبا على الحضارة الإسلامية في تحقيق نهضتها التي أتت فيما بعد: رجل يمثل أوروبا في ذلك العصر؛ وهو المترجم المدعو (جيرار الكريموني) الذي يذكرنا – وفقاً لما قالته الدكتورة نجلاء في كتابها المشار إليه سابقاً – بأنَّ روح التقدم كانت تنطوي بمقدار كبير على الحكمة في جمع ثمار الحضارة الإسلامية.

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة الثانية وعناصرها

العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي

بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية

أولاً: اهتمام الغرب بالعرب قبل الإسلام.

ثانياً: اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام.

ثالثاً: ازدياد اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد انتشار الفتوحات الإسلامية.

رابعاً: مُعاداة الغرب النصراني للشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

أولاً: اهتمام الغرب بالعرب قبل الإسلام .

- بدأ اهتمام الغرب بالعرب وبلادهم (شبه الجزيرة العربية) منذ ما قبل الميلاد؛ وهذا ما أظهره النظر في كتب المؤرخين القدامى من أمثال: -
  - ✓ المدعو (هيروديتس) مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، الذي كشف عن اهتمامه بالعرب من خلال ما كتبه عنهم في غير واحد من كتبه المتعددة.
  - ✓ المدعو (ينوفراست) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد – وكان تلميذاً للفيلسوف المشهور (أرسطو) – فقد بلغ من اهتمامه ببلاد العرب أنْ تحدث عنها حديثاً شيقاً في كتابه (تاريخ النبات).
- واستمر هذا الاهتمام إلى ما بعد الميلاد أيضاً، وهذا ما أثبتته دراسات تاريخية متعددة ! كتلك المتعلقة بما كتبه المؤرخ الروماني الشهير المدعو (جليني) في القرن الثاني للميلاد؛ فقد ثبت أنه جمع أسماء قبائل (وسط شبه الجزيرة العربية) ومدنها وقراها، ودوَّنها في كتبه.

ثانياً: اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام.

يُعَدُّ العرب بوتقة الإسلام الأولى وحاضنته الرئيسة، وبعد ظهور الإسلام فيهم - على يد الحبيب المصطفى (محمد بن عبد الله) وانتشاره في عموم (شبه الجزيرة العربية) خلال القرن السابع الميلادي - ازداد اهتمام الغرب النصراني بالتعرف عليهم؛ إلا أنَّ ما عرفه هؤلاء بخصوص العرب المسلمين ودينهم الجديد حينذاك كان قليلاً جداً؛ فمن ذلك: -

- ✓ علمهم بظهور دين جديد في (شبه الجزيرة العربية) يسمى الإسلام، على يد نبي اسمه (محمد بن عبد الله)
- ✓ وعلمهم بتحَوُّلِ مدينتين من مدن (شبه الجزيرة العربية) وهما (مكة) و(المدينة) - بعد ظهور الإسلام - إلى مدينتين مقدستين عند المسلمين.
- ✓ وانتشار خرافة بينهم؛ مفادها: أنَّ جثمان النبي الكريم (محمد) معلق في الهواء.

ثالثاً: ازدياد اهتمام الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بعد انتشار الفتوحات الإسلامية .

- لمّا انتشرت الفتوحات الإسلامية، ووصلت معالم الدين الإسلامي الجديد آفاق المشرق والمغرب؛ برزت في أوروبا حالة دينية جديدة، تمثلت في التخلي عن النصرانية والإقبال على اعتناق الإسلام مِن قِبَلِ أعدادٍ غفيرة من نصارى أوروبا، قُدِّرَت بعشرات الملايين.
- وقد ساعد على اقتناع هؤلاء بالإسلام ثم اعتناقهم إيّاه: ما حوته كتبهم المقدسة من بشارة بظهور النبي (محمد) بعد (عيسى) - عليه السلام -، وما لمسوه في المسلمين الفاتحين من وَرَع وعدل، وما وجدوه في دين الإسلام من رحمة وإنسانية وتسامح وتشريع فريد من نوعه.
- بهذا الخصوص؛ يقول (ولفرد سميث) في كتابه: الإسلام في التاريخ الحديث:" والإسلام هو القوة الايجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وآمنوا به بعشرات الملايين".

رابعاً: معاداة الغرب النصراني للشرق الإسلامي بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية.

- ما إنْ ظهرت راية الإسلام في الأندلس وثبتت حضارته فيها وفي غيرها، ونال الكثيرون من الغربيين النصارى شرف الدخول في الإسلام؛ حتى بدأ الغرب النصراني الرسمي (ممثلاً برجال الكنيسة) ينظر إلى الإسلام نظرة توجس وريبة، يساوره الخوف على أهليه أنْ تزداد أعداد المعتنقين منهم للإسلام.
- لذلك سارع إلى عزلهم عن أنْ يروا نور الإسلام على صفائه وربانيته؛ وسلك في سبيل ذلك طرقاً عدَّة، كان من بينها طريق الكتابة عن الإسلام ونشر الأبحاث العلمية عنه؛ بعد شحنها بالشبهات العقدية، وملئها بالافتراءات على كتاب الإسلام ورسول الإسلام (محمد) ؛ مُقَدِّماً لأهليه بذلك إسلاماً مشوهاً، على أمل تحصينهم ضدّه، والحيلولة دون انتشاره بينهم.

بهذا الخصوص؛ يقول (برناردشو)، الغربي المعروف بثاقب فكره وسعة اطلاعه. . وفقاً لما نقله العاني في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية . :

" لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك؛ إمّا جهلاً وإمّا تعصباً. إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه، فعندهم أنّ محمداً كان عدواً للمسيح.

ولقد درست سيرة محمد، الرجل العجيب؛ وفي رأيي أنّه بعيد جداً من أنْ يكون عدواً للمسيح، إنّما ينبغي أنْ يُدْعى (منقذَ البشرية)".

ولعلَّ من أصرح ما يدل على بغض رجال الكنيسة لمحمد ودينه الحنيف؛ ما ورد على لسان المستشرق (كيمون) بهذا الخصوص؛ وهو قوله:" إنَّ الديانة المحمدية جذام! تفشّى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً".

ويقول أحمد غراب في كتابه: رؤية إسلامية للاستشراق، تحت عنوان(موقف الغرب من الإسلام في القرون الوسطى):

- " كان موقف الغرب من الإسلام في تلك الفترة [أي: القرون الوسطى] موقفاً ينطوي على بعض الإعجاب الممتزج بالشعور بالهيبة أمام قوة الإسلام وحضارته.
- ولكن الخوف كان هو العنصر الأساسي الذي ظل يسيطر على هذا الموقف طوال القرون الوسطى؛ فقد كان الغرب ينظر إلى الإسلام على أنَّه يمثل خطراً حقيقياً (عقائدياً وحضارياً وحربياً) على أوروبا المسيحية.
- فمنذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) كانت قوة الإسلام المتكاملة (السياسية والحربية والثقافية والروحية) في نمو مضطرد وانتشار مستمر.
- وخلال القرون الثلاثة الأولى شملت الفتوحات الإسلامية بلاداً كثيرة، ومناطق شاسعة، ذات أهمية حيوية، كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المسيحية؛ منها مصر والمغرب وإسبانيا (الأندلس) وصقلية وبعض أجزاء فرنسا.
- وامتد الزحف الإسلامي تدريجياً إلى شبه القارة الهندية وأندونيسيا والصين في آسيا، بالإضافة إلى امتداده إلى أفريقيا.

- ولم تكن الفتوحات الإسلامية مجرد فتوحات حربية؛ بل كانت في كثير من جوانبها فتوحات حضارية وعقائدية؛ فقد دخل كثير من الناس، وكثير من المسيحيين أنفسهم في الإسلام، وفقدت المسيحية أعداداً كبيرة من أتباعها الذين اختاروا الدخول في الإسلام؛ وبخاصة في البلاد التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية.
- وكانت أوروبا تشهد هذا التوسع الإسلامي، وهي تمر بفترة من التخلف والجهل؛ وصفها المؤرخ (جيبون) – في كتابه: تاريخ انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية - بأنها كانت أحلك الفترات في التاريخ الأوروبي "

➢ إذَنْ؛ فقد تضافر الخوف من توسع انتشار الإسلام، مع الجهل بتعاليمه السمحة، والحقد عليه في تكوين صورة مشوهة عنه لدى الغرب النصراني في العصور المظلمة في أوروبا.

تعليق اتَّضَحَ مما سبق من حديث بخصوص (العلاقة بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي خلال العصور الأولى والعصور المظلمة في أوروبا) أمران رئيسان: -

أحدهما: أنَّ الغرب النصراني قد استفاد من علوم الشرق الإسلامي استفادة كبيرة؛ بدَّد بها ظلام أحلك الفترات في تاريخه.

والآخر: أنَّ الغرب النصراني في الوقت نفسه الذي كان ينهل فيه من علوم المسلمين؛ كان يعادي دينهم (وهو الإسلام) ويحاربه، ويعمل جاهداً على الإساءَة إليه بشتى الوسائل المتاحة.

المحاضرة الثالثة

عنوان المحاضرة الثالثة وعناصرها

تاريخ الاستشراق

أولاً: تعريف كلمتي (استشراق) و (مستشرق)؛ لغةً.

ثانياً: تعريف (الاستشراق)؛ اصطلاحاً.

ثالثاً: تعريف (المستشرق)؛ اصطلاحاً.

رابعاً: نشأة (الاستشراق).

خامساً: عصر ازدهار (الاستشراق).

أولاً: تعريف كلمتي (استشراق) و (مستشرق)؛ لغةً

- (الاستشراق): مصدر الفعل (استشرق)؛ [تقول: استشرق، يستشرق، استشراقاً؛ فهو مستشرق].
- وكلمة (استشراق): كلمة حديثة، مشتقة من مادَّة (شرق)؛وقد استعملت أصلاً للدلالة على الاتِّجاه نحو جهة الشرق.
- وقد ورد تعريف كلمتي (استشراق) و(مستشرق) في (معجم متن اللغة) على النحو الآتي: " (الاستشراق): طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك (مستشرق)، وجمعه (مستشرقون)، وما ينجزونه يسمى (استشراقاً) ".
- وكلمة (استشراق) هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (أورينتاليزم :Orientalism)، وأمّا كلمة (مستشرق) فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية (أورينتاليست: Orientalist)؛ فكلتاهما مأخوذتان من الكلمة الإنجليزية (أوريانت: Orient) التي هي بمعنى الشرق.

ثانياً: تعريف (الاستشراق)؛ اصطلاحاً

حظي الاستشراق بتعريفات اصطلاحية كثيرة، عرَّفه بها المشتغلون بالدراسات الاستشراقية، وكذلك الباحثون في هذا المجال؛ من مستشرقين وغيرهم!؛ وفيما يأتي ذِكْرُ أربعة من أهمِّها: -

١) عرَّفه المستشرق الألماني المشهور (رودي بارِت) بأنَّه: (علم الشرق، أو علم العالم الشرقي).

٢) وعرَّفه المفكر الإسلامي (محمد حيّاني) بأنَّه: (دراسة علوم الشرق في بلاد الغرب للتمكن من صياغة الشبهات ضد الإسلام ولغته بالأسلوب المناسب).

٣) وعرَّفه (إدوارد سعيد) بأنَّه: (أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله *، وممارسة السلطة عليه). [أي*: إعادة صياغة الشرق وتشكيله في شتى المجالات؛ ولا سيما في المجالين: الفكري والثقافي].

٤) وعرَّفه المفكر الإسلامي (أحمد غراب) بأنَّه: (دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب (عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونُظُماً وثروات وإمكانيات)؛ بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تَدَّعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي).

والذي يظهر من دراسة هذه التعريفات الأربعة وغيرها، أنَّ هذا التعريف الأخير هو أقربها إلى الدقة والشمول؛ لأنَّه يؤكد على الصفة الأساسية للشرق الذي تتركز عليه الدراسات الاستشراقية، وهو الشرق الإسلامي؛ الذي لا بد أنْ يكون هو مركز الاهتمام في دراسة الاستشراق.

ثالثاً: تعريف (المستشرق)؛ اصطلاحاً

- عَرَّفَ [قاموس أكسفورد الإنجليزي - Oxford Dictionary] (المستشرق) بأنَّه : مَنْ تَبَحَّرَ* في لغات الشرق وآدابه.[أي*: الغربي الذي تَبَحَّرَ في ..].
- ويرى بعض الباحثين في مجال الاستشراق عدم حصر مصطلح (مستشرق) في وصف الغربي الذي يكتب عن الشرق، ويدعون إلى توسيعه ليشمل كل من يكتب عن الشرق بنفس طريقة كتابة المستشرق الغربي حتّى وإنْ كان من أبناء الشرق الإسلامي نفسه.
- ومِمّا يحسن ذكره أنَّ بعض الكتاب الغربيين الآن ينفرون من استعمال هذا المصطلح (مستشرق)، ويحبون استعمال مصطلح (متخصص في الدراسات الشرقية) بدلاً منه؛ وذلك نظراً لما صار يحمله هذا المصطلح من أبعاد وخلفيات مُحْرِجَة أحياناً.

رابعاً: نشأة (الاستشراق)

❑ نشأة (الاستشراق)؛ كمصطلح:

- لم تكن كلمتا (استشراق) و (مستشرق) متداولتين في العصور المتقدمة، وإنَّما ظهرتا في زمن متأخر جدّاً؛ بل يشير بعض الباحثين إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على أنَّهما الفترة التي ظهرتا فيها.
- فقد ظهرت كلمة (استشراق) - [أوريانتاليزم: Orientalism] - في اللّغة الإنجليزية عام (١٨١١م)، وفي اللغة الفرنسية عام (١٨٣٠م).
- أمّا كلمة (مستشرق) – [أوريانتاليست" (Orientalist] - ؛ فقد ظهرت في اللغة الإنجليزية عام (١٧٧٩م) ، وفي اللغة الفرنسية عام (١٧٩٩م).
- لكنه لم يتم إقرارهما كمصطلحين في المعاجم اللغوية، إلا بعد انتشار تداولهما في الأوساط العلمية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

حيث تم إدراجهما ضمن المصطلحات الواردة في (قاموس الأكاديمية الفرنسية) سنة (١٨٣٨م)، أي: خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

- يُذْكر أنّ كثيراً من الترجمات الاستشراقية أصدرها المستشرقون قبل ظهور مصْطَلح (استشراق)، وكانت أهدافهم السيئة من إصدارها واضحة وضوح الشمس دون أنْ يلقبوا في تلك الفترة بالمستشرقين؛ وعليه فإنَّ النشاط الاستشراقي، وكذلك ترجمة العلوم العربية والإسلامية قد سبقا مصطلح (استشراق).

❑ نشأة (الاستشراق)؛ كفكر ونشاط:

- كان الاستشراق في بداية أمره جهوداً فردية وعفوية؛ مما صعَّب على الباحثين والمؤرخين تحديد تاريخ نشأته بدقة بسنة معنية أو فترة معينة؛ فاختلفوا في ذلك وتباينت آراؤهم.
- ففي حين أرجع بعضهم ظهوره إلى ذلك اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة، رأى آخرون أنَّه ظهر مع ظهور الإسلام وحدوث أول لقاء بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصارى نجران.
- بيد أنَّ هناك آراء اشتهرت بين المؤرخين بهذا الخصوص؛ وفيما يأتي عرض لأبرزها: -

الرأي الأول: أنّه نشأ في أواخر القرن السابع الميلادي.

وذلك لأن أول اهتمام من النصارى بالكتابة عن الإسلام والرد عليه ظهر في ذلك الوقت؛ عندما كتب يوحنا الدمشقي (٦٧٦م - ٧٤٩م) كتابه الذي وضَّح فيه للنصارى كيفية مجادلة المسلمين.

الرأي الثاني: أنّه نشأ في القرن العاشر الميلادي.

وذلك لأنّه الفترة التي شهدت ذهاب الرهبان الأوروبيين إلى الأندلس الإسلامية، وتزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها وتزايد اهتمامهم بحركة الترجمة، حيث كان من أبرز من اهتم بهذا الأمر الراهب الفرنسي (جِرْبِرت)؛ الذي درس في الأندلس ثم لمّا تقلد منصب البابوية عام (٣٩٠هـ) الموافق (٩٩٩م) أوصى بفتح المدارس وترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية.

يُذْكَر أنَّ الكاتب (نجيب العقيقي) كان من الذين رأوا هذا الرأي.

الرأي الثالث: أنّه نشأ في القرن الثاني عشر الميلادي.

وذلك لأنّه القرن الذي تمّ فيه إنجاز الغرب النصراني لأوّل عمل علمي مُمَيّز – من وجهة نظرهم – وهو ما تمثل في إتمام أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام (٥٢٨هـ) الموافق (١١٤٣م)، على يد المدعو (روبرت أوف كيتون)، وبمعاونة من المدعو (فرمان أوف دالماتيا).

يُذْكَر أنَّ المستشرق الألماني (رودي بارت) كان من الذين رأوا هذا الرأي.

الرأي الرابع: أنّه نشأ في القرن الثالث عشر الميلادي.

وذلك لأنَّه القرن الذي أمر فيه ملك (قشتالة) الملقب بالحكيم والمدعو (الفونس العاشر) بإنشاء معهد للدراسات العليا (سنة:١٢٦٩م)، وجعل من اهتمامات ذلك المعهد ترجمة معاني القرآن الكريم ليس إلى اللاتينية وإنَّما إلى اللغة الإسبانية،

واختار لذلك المعهد بعض المترجمين من المسلمين والنصارى واليهود ليمارسوا الترجمة إلى اللغة الإسبانية؛ فترجم المسلمون معاني القرآن الكريم إلى الإسبانية، وترجم النصارى (الإنجيل) إلى الإسبانية، وترجم اليهود (التوراة والتلمود) إلى الإسبانية.

الرأي الخامس: أنّه نشأ في القرن الرابع عشر الميلادي.

وذلك لأنَّه القرن الذي انعقد فيه مؤتمر (فيينا) الكنسي (سنة: ١٣١٢م)؛ حيث تقرَّر في ذلك المؤتمر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، فَعُدَّت تلك القرارات البداية الرسمية للاستشراق، أو (بداية الاستشراق الرسمي)؛ نظراً للصفة الرسمية لمؤتمر فيينا الكنسي، وتمثيله لعدد كبير من كنائس الغرب.

خامساً: عصر ازدهار (الاستشراق)

- يكاد المؤرخون يجمعون على أنَّ الاستشراق لم ينتشر بصورة جدية في العالم الغربي اليوم إلا بعد حركة الإصلاح الديني التي قام بها المدعو (مارتن لوثر) وغيره، خلال القرن السادس عشر الميلادي.

- فمنذ ذلك القرن بدأت أوروبا ببناء نهضتها الصناعية والعلمية، وأنشأت العديد من الجامعات، وافتتحت العديد من مراكز البحوث، وأنفقت ولم تزل تنفق على تلك الجامعات والمراكز بسخاء؛ فتحركت فيها الدوائر العلمية، وأخذت تصدر كتاباً تلو كتاب، وبحثاً تلو آخر.
- ثم ازداد النشاط الاستشراقي في العالم الغربي بعد تأسيس كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية؛ مثل: كرسي كامبريدج (سنة:١٦٣٢م)، وكرسي أكسفورد (سنة: ١٦٣٨م).
- ويُعَدُّ تأسيس الجمعيات العلمية؛ مثل: (الجمعية الأسيوية البنغالية)، و(الجمعية الاستشراقية الأمريكية)، و(الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية) بمنزلة الانطلاقة الكبرى للاستشراق؛ حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف، وفي التعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلاً عمّا كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية.
- وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة: إنشاء (مدرسة اللغات الشرقية الحية) في فرنسا، برئاسة المستشرق الفرنسي (سِلْفِستِر دي ساسي)؛ التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين، وأسهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن.
- ازدهرت الحركة الاستشراقية ازدهاراً حقيقياً في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين؛
  - ✓ ففي هذين القرنين ظهرت الجمعيات الاستشراقية،
  - ✓ وخلال هذين القرنين بدأ عقد المؤتمرات الدولية للمستشرقين؛ حيث عُقِدَ أول مؤتمر دولي لهم في القرن التاسع عشر الميلادي وتحديداً في عام (١٨٧٣م).

المحاضرة الرابعة

عنوان المحاضرة الرابعة وعناصرها

أهداف الاستشراق

لم ينشأ الاستشراق عبثاً ! بل نشأ لتحقيق أهداف كثيرة؛ وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الأهداف: .

أولاً: هدفه الديني.

ثانياً: هدفه العلمي.

ثالثاً: هدفه التجاري.

رابعاً: هدفه السياسي الاستعماري.

أولاً: هدفه الديني

- يُعَدُّ الهدفُ الديني أوَّلَ أهداف الاستشراق وأهمَّها على الإطلاق؛ بل لقد كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، كما كان مصاحباً له خلال مسيرته التاريخية الطويلة، لم ينفَكَّ عنه؛ إذْ لم يكن من السهل على معظم المستشرقين النصارى نسيانُ إنكار الإسلام لعقيدتي (التثليث) و (الصلب والفداء) الأساسيتين في ديانتهم النصرانية، ولا نسيان المد الإسلامي الذي محى النصرانية عن وجه الخريطة في كثير من بقاع الأرض؛ يوم أنْ اعتنقه ملايين النصارى، فتربع على قلوبهم؛ وكان الحق الذي أزهق الباطل.

- إنَّ الغرب النصراني قد عَدَّ التعرف على الإسلام (بالتعمق في دراسته) الوسيلة المثلى لتشويهه ومن ثم لتنفير النصارى منه، ومحاربتِه، وإطلاقِ حملات (تنصيرية) لتنصير أتباعه في الشرق الإسلامي وغيره من أماكن تواجد المسلمين؛ لذا فإنَّ الهدف الديني للاستشراق قد سار - منذ البداية – في ثلاثة اتجاهات متوازية، متضافرة، عملت معاً جنباً إلى جنب لتحقيقِه؛ وهذه الاتجاهات هي الآتية: -

الأول: اتجاهٌ تمثل في العمل على حجب نور الإسلام عن النصارى والحيلولةِ دون وصوله إليهم؛ وذلك لمنع دخول المزيد منهم فيه. وهو ما سمّاه بعضهم (حماية النصارى من خطر الإسلام).

الثاني: اتجاهٌ تمثل في الهجوم على الإسلام ومحاربتِه عسكرياً (في البداية)، ثم فكرياً (بعدما فشلت الحملات العسكرية)؛ وذلك من خلال ممارسة ما يأتي: -

١. عملياتِ تشويه للعقيدة الإسلامية ومبادىء الإسلام وقِيَمِه ومصادره وتاريخه.
٢. الطعنِ في القرآن والتشكيك في صحته.
٣. الطعن في شخص الرسول محمد والتشكيك في صحة رسالته.
٤. الطعن في الحديث النبوي والتشكيك في صحته.
٥. الطعن في الفقه الإسلامي، بادِّعاء أنَّه مستمد من الفقه الروماني.
٦. الطعن في قدرة اللغة العربية على مسايرة ركب التقدم العلمي.

الثالث: اتجاهٌ تمثل في العمل على تنصير المسلمين حيثما وجدوا، وما أمكن ذلك، أو إفسادِ دينِهم عليهم؛ وذلك ليكونوا من الخاضعين للغرب العلماني فكرياً واجتماعياً.

إذَنْ؛ فقد كان الهدف الديني للاستشراق بحق هدفاً صليبياً – وِفْقاً لما يراه المفكر الإسلامي المعاصر أحمد الحليبي –؛ بل "ويمكن تسميته بالهدف الأسود؛ لِما انطوى عليه من حقد على الإسلام وأهله، ومن إضمار الشر للأمة الإسلامية ".

ثانياً: هدفه العلمي

- يُعَدُّ الهدف العلمي واحداً من أهم أهداف الاستشراق؛ بل لقد كان هذا الهدف وراء إقبال الأوروبيين على دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية؛ بعد اقتناع زعمائهم بأنَّه " إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم؛ تدرسُ لغاته وآدابه وحضارته".
- لقد عَدَّ الغربيون دراسةَ منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، أَخْذٌ بسبب من أسباب النهضة؛ لذا لم يتركوا كتابات لعلماء المسلمين في مجال ما إلاّ واطلعوا عليها، وترجموا عنها، ونهلوا من معينها، ثم ألّفوا فيها بعد ذلك؛ إذ الكتابة وليدة القراءَة.
- وتظهرُ هذه الحقيقة واضحةً جلية عند الرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية، وإلى قوائم مؤلفات المستشرقين المتعلقة بعلوم الشرق الإسلامي؛ فلقد " بلغ ما ألّفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن – منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين – ستين ألف كتاب "!؛ شملت دراسات في العقيدة والشريعة، وعلوم القرآن، وعلوم السنة النبوية، والتصوف والأخلاق، وتاريخ الأدب العربي، والتاريخ العربي الإسلامي، وغير ذلك من الموضوعات الدينية والعربية.
- وإنَّ مما يحسن التنبيه عليه بخصوص هذا الهدف أنَّ المستشرقين (في دراستهم لمنجزات الحضارة الإسلامية، وإقبالهم على كتب التراث الإسلامي) تنوّعوا نوعين؛ هما: -

النوع الأول: مستشرقون منصفون؛ ذووا هدف علمي موضوعي؛ هو معرفة الحق والوصول إلى الحقيقة؛ للتمسك بها.

وهؤلاء قِلَّة؛ اعترفوا بأنَّ المبادئ الإسلامية تتفق والحقائق العقلية المنطقية، وتتوافق مع الحقائق العلمية، وشهدوا للفكر الإسلامي بالريادة في العلوم عامّة وفي العلوم التجريبية والرياضية خاصَّة؛ بل إنَّ بعضهم قد اقتنع بالإسلام، فسارع إلى اعتناقه، وجَنَّد نفسه للدفاع عنه وعن قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته.

وإذا كان بعض هؤلاء لمْ يسلم من الوقوع في أخطاء علمية، أو الخلوص إلى استنتاجات بعيدة عن الحق؛ فما ذاك إلا لجهلهم بأساليب اللغة العربية وطرائق التعبير فيها، أو لحداثة إسلامهم وجهلهم بتفصيلات التاريخ الإسلامي؛ ولا يطعن ذلك أبداً في موضوعيتهم ونزاهتهم.

وبخصوص هذا النوع من المستشرقين؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي (في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة): " أقبل نفر قليل من المستشرقين على كتب التراث الإسلامي بهدف الاطلاع على حضارات الأمم الشرقية وثقافاتها ولغاتها، ودراستها دراسة موضوعية وجادَّة؛ رغبةً في الوصول إلى الحقيقة العلمية. وقد كان هؤلاء أقلَّ من غيرهم خطأ؛ لأنَّهم - فيما يظهر - لم يتعمدوا التحريف والدس، فجاءت بحوثهم أقربَ إلى الصواب والموضوعية من غيرهم، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام".

<u>ومن أمثلة هذه القلَّة المنصفة</u>: -

- ✓ (آني ماري شيمل)؛ وهي من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين، درست الإسلام ففهمته، وعرضته لبني قومها بأسلوب علمي موضوعي جعلهم يمنحوها لذلك أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا؛ وهي الجائزة المعروفة لديهم باسم(جائزة السلام)، وأصدرت العديد من الكتب التي أنصفت فيها الإسلام والمسلمين كثيراً؛ كان من بينها كتاب (محمد رسول الله)؛ الذي بسطت فيه مظاهر إجلال المسلمين لرسول الله .
- ✓ (<u>ليوبلد فايس</u>)؛ وهو مستشرق نمساوي، أسلم وغيّر اسمه إلى (محمد أسد).
- ✓ (<u>دانين دينيه</u>)؛ وهو مستشرق وفنان فرنسي، أسلم وغيَّر اسمه إلى (ناصرالدين دينيه)، وألّف كتاباً سمّاه (أشعة خاصة بنور الإسلام)؛ بيَّن فيه تحامل الغرب النصراني على الإسلام والرسول محمد ، وقد عاش في الجزائر ودُفِنَ فيها (بعد موته في فرنسا).
- ✓ (<u>روجيه جارودي</u>)؛ وهو مستشرق وفيلسوف فرنسي، أسلم وغيَّر اسمه إلى (رجاء جارودي)، وألَّف عدة كتب دافع فيها عن قضايا العالم الإسلامي، وخاصة القضية الفلسطينية، وحق الشعب الفلسطيني في وطنه (فلسطين).

<u>النوع الثاني: مستشرقون متعصبون؛ ذووا هدف علمي مُغْرِض؛ يتمثل في دراسة التراث الإسلامي دراسة مُعَمَّقَةً، الغرض منها تشويهُ الحقيقة، وتنفير الناس.</u>

وهؤلاء هم الكثرة الكاثرة من المستشرقين؛ الذين يلتقي لديهم الهدف العلمي للاستشراق بالهدف الديني له، في إضمارهما كليهما الشرَّ للأمة الإسلامية.

وبخصوص هذا النوع من المستشرقين؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي (في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة): " تغلبت النزعة العدائية للإسلام على معظم المستشرقين في كتاباتهم؛ ويعود هذا إلى إدراكهم أنَّ الإسلام بعقائده وتعاليمه وأحكامه هو الدين الحق؛ لذا عمدوا إلى تشويه صورته في نفوس المسلمين ولدى أبنائهم، مستخدمين أسلوب إثارة الشبه، والتقليل من شأن الدين الإسلامي، وتزوير تاريخه؛ لتنفير الناس منه ".

<u>ومن أعلام هذه الكثرة المتعصبة</u>: -

- ✓ (كارل بروكلمان)؛ وهو مستشرق ألماني، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، وألف فيه كتاباً سمّاه (تاريخ الشعوب الإسلامية) ضَمَّنه كثيراً من المغالطات والافتراءات على الإسلام.

- ✓ (هنري لامانس)؛ وهو مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، اشتُهِرَت بافتقارها للنزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها. وقد عُدَّ نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين.
- ✓ وآخرون؛ سيأتي ذكرهم في مواقعهم من مفردات هذا المقرَّر – بمشيئة الله -.

ثالثاً: هدفه التجاري

ظهر الهدف التجاري للاستشراق واضحاً جلياً في عصر ما قبل الاستعمار الغربي الذي اجتاح العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

- إذْ عندما بدأ الأوروبيون نهضتهم العلمية والصناعية، وبدأت صناعاتهم بالازدهار؛ كانت مصانعهم بحاجة (من جهة) إلى مواد أولية لتغذيتها، وبحاجة (من جهة ثانية) إلى أسواق تجارية لتصريف منتجاتها؛ فكان لا بد لهم من محاولة معرفة البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أنْ تكون (في الوقت نفسه) أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم، وتعود عليهم بالخير العميم (تجارياً وصناعياً)، وتحقق الرفاهية لشعوبهم.
- **لهذا كانت الشركات الغربية الكبرى تقدم للباحثين في شؤون الشرق الإسلامي المال الوفير؛ مقابل حصولها منهم على تقارير معرفية تتعلق بجغرافية تلك البلاد الإسلامية وثرواتها الطبيعية والبشرية وحاجات أسواقها.**
- من هنا حصل المستشرقون على الدعم المالي السخي لأبحاثهم ودراساتهم التي قاموا بها بخصوص وصفهم لمنابع الثروات في البلاد الإسلامية.
- ويرى بعض الباحثين: أنَّ الهدف التجاري للاستشراق لم يتوقف عند بدايات الاستشراق؛ بل لم يزل أحدَ أهمِّ الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية؛ فمصانع الغربيين لم تزل بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولم تزل (في الوقت نفسه) بحاجة إلى أسواقه لتصريف إنتاجها (الزائد عن حاجة أسواقها المحلية)، ولجني المزيد من الأرباح.
- يُذْكَر؛ أنَّ بعض أشهر البنوك الغربية لم تزل تصدر تقارير شهرية، هي في ظاهرها تقارير اقتصادية وفي حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة؛ حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي.

رابعاً: هدفه السياسي الاستعماري (سيأتي الحديث عنه ضمن الحديث عن علاقة الاستشراق بالاستعمار، بمشيئة الله سبحانه).

المحاضرة الخامسة

عنوان المحاضرة الخامسة وعناصرها

آثار الاستشراق

أثَّر الاستشراق في العالم الإسلامي (تأثيرات سلبية)، في كل من المجالات: الديني، والعلمي، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي، وغيرها؛ وفيما يأتي عرض لأبرز تلك الآثار السلبية: .

أولاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الديني.

ثانياً: أبرز آثاره السلبية في المجال العلمي.

ثالثاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الاقتصادي.

رابعاً: أبرز آثاره السلبية في المجال السياسي.

خامساً: أبرز آثاره السلبية في المجال الثقافي.

أولاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الديني

١) **ظهورُ تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين نادوا بالعلمانية (أي: فصل الدين عن الحياة)؛ اقتداء بالغرب النصراني الأوروبي الذي ثار على الدين – ممثلاً بالكنيسة - وحاربه وقصره على الممارسات الشعائرية التعبدية داخل الكنائس؛ مخالفين بذلك ما جاء به الإسلام من ربط لكل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور الإسلامي للعلاقة بين الخالق سبحانه والمخلوق والكون.**

توضيح ذلك:

إنَّ البعثات العلمية الأولى التي انطلقت من بعض أقطار العالم الإسلامي (مثل: تركيا ومصر وإيران والمغرب) إلى (فرنسا)؛ لدراسة الهندسة والعلوم التجريبية والفنون الحربية، كانت خاضعة لإشراف المستشرقين الفرنسيين كالمستشرق (جونار) - الذي كانت البعثة المصرية تحت إشرافه – وغيرِه؛ فحرص هؤلاء المستشرقون على نقل ثقافة الفرنسيين وطريقة تفكيرهم اللادينية إلى طلابهم المسلمين أثناء دراستهم وقبل تخرجهم.

ولمّا عاد هؤلاء المبتعثون إلى بلادهم؛ بعد انبهارهم بما شاهدوه في الغرب (من تقدم تقني) وتأثرهم بما غرسه معلموهم والمستشرقون المشرفون عليهم في نفوسهم وعقولهم من أفكار ونظريات هدّامة (في مجال الدين)؛ ما كان منهم إلا أنْ هاجموا الدين الإسلامي وحمَّلوه مسؤولية تأخر المسلمين عن ركب التقدم، وزعموا أنَّ المسلمين لنْ يتقدموا حتى يتحرروا من قيوده- مثلما تحررت أوروبا من قيود الدين النصراني المتمثل في سلطة الكنيسة - ؛ لذا دعوا إلى التحرُّر من الدين، وذلك بفصله عن الدولة، وإبعاده عن التدخل في شئون الحياة، وجعله مجردَ تعاليم أخلاقية لا إلزام فيها، وشعائر تعبدية محصورةً في المساجد.

٢) **انجذابُ بعض أبناء المسلمين (من مفكرين وعلماء وأُناسٍ عاديين أو عامّة) إلى الاهتمام بدراسة الطرق الصوفية أو اتّباعها؛ تأثُّراً منهم بما نالته تلك الطرق من مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية.**

٣) **اشتهارُ الفرق المنحرفة كفرقتي (الرافضة) و (الإسماعيلية) – على سبيل المثال لا الحصر – لدى الغربيين عن الإسلام، وظنهم أنَّها هي الإسلامُ ذاتُه؛ وذلك لمبالغة المستشرقين في الاهتمام بها، وتركيزهم على دراستها تركيزاً كبيراً، ساعد على اشتهارها.**

ثانياً: أبرز آثاره السلبية في المجال العلمي

١. **انتشارُ كتب المستشرقين، المتضمنة لدراساتهم وأبحاثهم التي أجروها في موضوعات متعلقة بالإسلام (عقيدة وشريعة وسلوكاً وتاريخاً وغير ذلك)؛ وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد للحقائق والنصوص المنقولة والوقائع التاريخية.**
٢. **انتشارُ محاضرات المستشرقين التي ألقوها على منابر الجامعات والجمعيات العلمية، بعد دعوتهم إليها من قِبَل القائمين عليها؛ وفي أكثرها طعن في الإسلام وافتراء عليه.**

وبخصوص هذا؛ يقول المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي (في كتابه: الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة): "هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره؛ لقد مرَّ على المسيحيين في أوروبا حين من الدهر كانوا يشدون فيه الرِّحال إلى الأندلس ليتعلموا العلوم حتى علوم الدين المسيحي من علماء الإسلام، أمّا الآن فقد انقلب الأمر رأساً على عَقِب؛ حيث أصبح المسلمون – وأسفاه – يرجعون إلى أهل الغرب (أوروبا) و (أمريكا) يسألونهم: ما هو الإسلام؟ وما هو تاريخه؟ وما هي حضارته؟ ليس هذا فقط؛ بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين، لا يجعلونه مادّة للدراسة في كلياتهم وجامعاتهم فقط، ولكن يؤمنون به إيماناً راسخاً يفوق إيمانهم بالمصادر الإسلامية ؛ مع أنهم – أعني أهل الغرب- لا يسمحون لأحد إذا لم يكن من أتباع دينهم بأن يتدخل فيما يتعلق بدينهم وتاريخهم ولا في أتفه الأمور!."

٣. **صدورُ الموسوعة التي تحمل اسم (دائرة المعارف الإسلامية) بعدة لغات، ثم صدور نحو ثلاثة عشر مجلداً منها مترجمة إلى اللغة العربية؛ بعد كتابة مادَّتها من قِبَلِ حشد كبير من كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام والمسلمين؛ ممن عُرِفوا بدسهم السُّمَّ في الدَسَم.**

وقد انتشرت هذه الموسوعة في العالم الإسلامي وأصبحت مرجعاً معتمداً لكثير من الباحثين وطلبة العلم ! رغم ما حوته من أباطيل تتعلق بالقضايا الإسلامية المذكورة فيها.

ثالثاً: أبرز آثاره السلبية في المجال الاقتصادي

١. انتشارُ (النظام الاقتصادي الاشتراكي) في بعض بلاد المسلمين، و(النظام الاقتصادي الرأسمالي) في بعض بلاد المسلمين الأخرى؛ وذلك كبديل عن (النظام الاقتصادي الإسلامي)، وانقسم العالم الإسلامي على نفسه؛ فأصبح قسم منه يدور في الفلك الشيوعي، وقسم آخر منه يدور في الفلك الرأسمالي.

وقد تم ذلك بفضل جهود المستشرقين في الترويج للاشتراكية والرأسمالية في العالم الإسلامي؛ حيث قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الشيوعية والرأسمالية، كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنَّهما لا تمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي.

٢. تشجيعُ الصناعة في البلاد الإسلامية - دون الاستعداد الكافي لها - وإهمالُ قطاع الزراعة. فقد اقتنع العالم العربي بأنَّ النهضة الحقيقية إنَّما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أنَّ نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة ! ولم يزل الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

ومن الأمثلة على هذا الأمر: ما حدث في (مصر) في عهد الرئيس (جمال عبد الناصر)؛ حيث تم التوسع في مشروعات صناعية (خيالية) مع إهمال شبه تام للزراعة، مما جعل البلاد عالة على الدقيق الأمريكي والأسترالي وغيرهما. وقد حدث مثل هذا أيضاً في (الجزائر)، وإنْ كان العالم الإسلامي - في الحقيقة - لم يتقدم تقدماً مشهوداً؛ لا في الزراعة ولا في الصناعة.

رابعاً: أبرز آثاره السلبية في المجال السياسي

إقصاء النظام السياسي الإسلامي، وإحلال الديموقراطية الغربية محله.

- فقد هاجم مستشرقون كثيرون في كتاباتهم (نظام الخلافة الإسلامي)، وافتروا على الخلفاء الراشدين، وزعموا – زوراً وبهتاناً - أنَّ وصول كل من (أبي بكر الصديق) و (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنهما - إلى الخلافة كان نتيجة لمؤامرة بين الاثنين.
- كما هاجم مستشرقون آخرون (النظام السياسي الإسلامي)، ووصفوه بأنَّه نظام قائم على الاستبداد وفرض الخضوع والمذلة على الشعوب الإسلامية.
- وفي الوقت نفسه مدح المستشرقون الديموقراطية الغربية ووصفوها بأنّها أفضل نظام سياسي توصل إليه البشر حتى الآن، وأنَّه (أي: هذا النظام) يجب أنْ يسود العالم بصفة عامّة والبلاد الإسلامية بصفة خاصّة.
- وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاحتلال الغربي بالفكر السياسي الغربي؛ فقامت باستيراد النظام البرلماني المبني على الديمقراطية الغربية، دون إعداد شعوبها العربية لمثل هذه الأنظمة، فكانت النتيجة (كما قال أحد المستشرقين): إنَّ العرب قد استوردوا برلمانات معلبّة دون ورقة التعليمات. ولم تزل هذه البرلمانات في بعض البلاد العربية يتحكم فيها الحزب الحاكم الذي لا بد أنْ يفوز بأغلبية المقاعد، بأية طريقة كانت.
- ولعلَّ من الحقائق المثيرة للانتباه أنَّ (تركيا) كانت من أوائل الدول الإسلامية التي أقصت النظام السياسي الإسلامي، واستبدلته بالديموقراطية الغربية ولكنْ عندما وصل الإسلاميون فيها للحكم عبر صناديق الاقتراع، قلبت الدول الغربية لنظامهم الديموقراطي ظهر المجن، وأيَّدت العسكر في كبت الحريات ومصادرة الديموقراطية.

خامساً: أبرز آثاره السلبية في المجال الثقافي

١) انهزامُ الشخصية المسلمة وفقدانُها لعزة المؤمن؛ أمام الشبه التي أثارها المستشرقون حول الإسلام. وفي هذا الخصوص؛ يقول المفكر الإسلامي أحمد الحليبي؛ في كتابه: قضايا ثقافية معاصرة، وتحت عنوان (آثار الاستشراق السلبية على ثقافة المسلمين)

:" بقدر ما كان للاستشراق من آثار إيجابية في خدمة تراثنا وإحيائه ونشره، بقدر ما كان له من آثار سلبية على ثقافة المسلمين؛ منها: إضعافُ عقيدة بعض المسلمين، وتشويهُ صورة الإسلام لدى بعض أبنائه، وإشعارهم بتناقض دينهم وقصوره في مواجهة الجديد والمتطور في واقع الحياة، ومقارنة ذلك بالفكر الغربي الذي أظهره المستشرقون في صورة الفكر المتكامل والمتلائم مع الحياة العصرية، مما أدى إلى انهزام نفسية هؤلاء المسلمين أمام التيار الجارف من كتابات المستشرقين التي تدس الفكر المنحرف، وتثير الشبه حول الإسلام" .

٢) دخولُ المصادر الغربية إلى قلب التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة؛ سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى، أو في منهجية فهم هذه المصادر وفهم منهجية التعامل معها؛ بعد أنْ كان المسلمون يعيشون على هدي من القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة (الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً) في جميع مجالات الحياة.

وقد تحقق هذا كنتيجة لنجاح الاستشراق في التأثير سلباً على الثقافة في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ذلك النجاح الذي استطاع الاستشراق إنجازه بسبب ما يأتي: -

- ✓ سيطرته على وسائل الإعلام المختلفة (من صحافة ، وإذاعة ، وتلفاز، وغيرها) في كثير من بلاد العالم الإسلام ؛ فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولى رئاسة تحريرها أو عمليات الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية. مما أتاح للاستشراق نشر ثقافته وفكره الغربيين خلالها. وبهذا الخصوص؛ يقول إدوارد سعيد (في كتابه: الاستشراق) : " وتطغى الآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي فهو يصور العرب مثلا على أنَّهم راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين شرهين، تمثل ثروتهم (غير المستحقة) إهانة للحضارة الحقيقية ".
- ✓ سيطرته على منابر الرأي في كثير من بلاد العالم الإسلامي، من خلال ما أنشأه على أراضيها من مدارس وجامعات غربية، ومن خلال أبناء الأمة الإسلامية الذين تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية .

٣) دخولُ فنون اللهو غير المباح (من مراقص وغناء وغير ذلك) إلى حياة الشعوب العربية الإسلامية بواسطة المسارح ودور السينما التي أنشأها المستشرقون أو مَوَّلوا إنشاءَها في العالم الإسلامي.

٤) تسلُّلُ الفكر الغربي العلماني إلى الأدب العربي (شعراً ونثراً وقصة)؛ حيث وصل إليه المستشرقون عن طريق وسائل الإعلام ومنابر الرأي، وبخاصة عن طريق ما سمي (الحداثة) التي تدعو إلى: نقد النصوص المقدسة، وتحطيم السائد والموروث، ومحاربة اللغة الفصحى. فقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة، ولم يتيحوا لأحد سواهم تقديم أيَّة وجهة نظر تخالفهم، وإلاّ نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

المحاضرة السادسة

عنوان المحاضرة السادسة وعناصرها

علاقة الاستشراق بالتنصير

أولاً: حقيقة علاقة الاستشراق بالتنصير (وِحدَةُ الهدف).

ثانياً: نماذج تطبيقية لعلاقة الاستشراق بالتنصير (مُستشرقون مُنَصِّرون).

أولاً: حقيقة علاقة الاستشراق بالتنصير

- مِمّا تم التأكيد عليه (سابقاً - في المحاضرة الرابعة -)، أثناء الحديث المتعلق بأهداف الاستشراق: أنَّ الهدف الديني منها قد سار- منذ البداية - في الاتجاهات المتوازية الثلاثة الآتية (التي كانت متضافرة؛ عملت معاً لتحقيقِه): -

الأول: اتجاهٌ تمثل في العمل على حجب نور الإسلام عن النصارى والحيلولةِ دون وصوله إليهم؛ وذلك لمنع دخول المزيد منهم فيه.
الثاني: اتجاهٌ تمثل في الهجوم على الإسلام ومحاربتِه عسكرياً (في البداية)، ثم فكرياً (بعدما فشلت الحملات العسكرية).
الثالث: اتجاهٌ تمثل في العمل على تنصير المسلمين حيثما وجدوا، وما أمكن ذلك، أو إفسادِ دينهم عليهم؛ وذلك ليكونوا من الخاضعين للغرب العلماني فكرياً واجتماعياً.

- إذَنْ؛ التنصير جزء مهم من الهدف الديني للاستشراق، لا يمكن فصله عنه ولا إخراجه منه؛ فهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً يقيم العلاقة بينهما على أساس قوي متين هو وحدة الهدف.
- إنَّ (المستشرق) و(المنصِّر) يكمل أحدهما الآخر؛ فبالرغم من حملهما وصفين مختلفين، أحدهما (مستشرق) والآخر (مُنَصِّر)، إلا أنَّهما وجهان لعملة واحدة، ولا يختلفان عن بعضهما إلا في توزيع العمل بينهما؛ فالمستشرق يركز في عمله على الدراسة والبحث العلمي، والمنصر يركز في عمله على تقديم الخدمات الإنسانية بأنواعها من تغذية وتعليم وعلاج وما يشبه ذلك. لكنَّ هدفهما في النهاية واحد؛ وهو إضعاف تمسك المسلم بدينه، بشكل يقوده إمّا إلى التَّنَصُّر، أو إلى الرِّدَّة عن دينه إلى أي شيء آخر (كأن يصبح علمانياً أو قومياً أو اشتراكياً)؛ إذْ سوف تكون النتيجة في الحالتين واحدة، وهي التبعية للغرب النصراني والخضوع له فكرياً واجتماعياً. وبهذا الخصوص؛ يقول المستشرق الألماني (رودي باريت) – مبيناً الهدف الرئيس لجهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي والقرون التالية له - : " كان الهدف من هذه الجهود هو التبشير؛ وهو إقناع المسلمين (بلغتهم) ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي ".
- إنَّ كلاً من (المستشرق) و (المُنَصِّر) يتم إعداده لتحقيق هذا الهدف إعداداً جيداً متشابهاً، ويتضح هذا الإعداد المتشابه في المؤهلات الضرورية التي يُشْتَرط توفرها في كل (مستشرق) و (مُنَصِّر)، وهي كثيرة [بَسَطَها إبراهيم خليل أحمد – المنصر القبطي الذي هداه الله إلى الإسلام فأسلم وترك مهنة التنصير - (في كتابه: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي)، ونقل عنه أحمد غراب (في كتابه: رؤية إسلامية للاستشراق)بعضها]؛ فمنها: -

١. دراسة اليهودية والنصرانية والكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) دراسة لاهوتية وتاريخية مُعمَّقة؛ تعمق وعي كلٍّ من المستشرق والمنصر بدينه؛ ليتمكن من مواجهة الدين الإسلامي مواجهة عقائدية. وهذه الدراسة اللاهوتية هي السبب في كون كثير من المستشرقين قساوسة.
٢. دراسة اللغة العربية، والتعمق في دراسة الدين الإسلامي من جميع جوانبه؛ لإكساب كلٍّ من المستشرق والمنصر القدرة على التشكيك في الإسلام، وإثارة الشبهات حول مصدريه (الكتاب والسنة) وتاريخه وتشريعاته.

وبهذا الخصوص؛ يقول يوهان فوك (في كتابه: تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا): " إنَّ كثيرا من المستشرقين قد بدئوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية ،وكان همهم إرساءَ نهضة الكنيسة وتعاليمها، لا سيما في العصور الوسطى؛ أيْ أنَّ هدفهم كان تنصيرياً واضحاً، فكأنَّ الاستشراق إنّما قام ليُغَذّي التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة (المُنَصِّر) ".

- وقد عمل عدد كبير من المستشرقين مع الدوائر التنصيرية؛ فكان من بين المستشرقين الذين تميزوا في مجال التنصير في العالم الإسلامي كلٌّ من: -
  - ✓ ألفريد جيوم؛ وهو مستشرق مُنَصِّر إنجليزي.
  - ✓ روبرت سميث؛ وهو مستشرق مُنَصِّر اسكتلندي.
  - ✓ هنري لامانس؛ وهو مستشرق مُنَصِّر بلجيكي.
  - ✓ صَمْويل زويمَر؛ وهو مستشرق مُنَصِّر أمريكي.

ثانياً: نماذج تطبيقية لعلاقة الاستشراق بالتنصير

تبيَّن مما تقدم: ارتباط التنصير بالاستشراق ارتباطاً وثيقاً، وقيام العلاقة بينهما على أساس قوي متين هو وحدة الهدف. ولعلَّ مِمّا يؤكد هذا الارتباط ويزيده وضوحاً النموذجان الآتيان لِمُسْتَشْرِقَيْنِ مُنَصِّرَيْن مشهورين - وهما على سبيل المثال لا الحصر-: -

- ❑ *النموذج الأول: المستشرق المُنَصِّر (ريموند لول)*

- ارتبطت البداية العقائدية للاستشراق في أوروبا – أي: كظاهرة عداوة عقائدية للإسلام – ارتباطاً تاريخياً ببداية ظهور الإسلام؛ أمّا البداية الرسمية له – أي: كدراسات أكاديمية منظمة في مؤسسات علمية كالجامعات – فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتنصير، حيث أدى المستشرق المُنَصّر المشهور (ريموند لول) دوراً كبيراً ومهماً بهذا الشأن؛ إذْ بناء على اقتراحه الذي قدَّمه إلى مؤتمر (فيينّا) الكنسي (سنة: ١٣١٢م)؛ قرَّر ذلك المؤتمر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية (منها: جامعة باريس، وجامعة أكسفورد، وجامعة بولونيا، وغيرها)؛ بهدف نشر النصرانية بين المسلمين، وفي تلك الجامعات تخرج المستشرقون المنصّرون المحترفون الأوائل.

ونظراً للصفة الرسمية لمؤتمر (فِيينّا) الكنسي، وتمثيله لعدد كبير من كنائس الغرب؛ عُدَّ ما قرَّره بهذا الشأن (البداية الرسمية للاستشراق).

- تعلم (ريموند لول) اللغة العربية، وحثَّ النصارى على تعلمها ليس حباً لها - فقد كان يصفها بأنها لغة تشبه أصوات الحيوانات ولغاتها - ولكن لاستخدامها في عملية تنصير المسلمين.
- مارس (ريموند لول) التنصير في (الجزائر) و(تونس)، كما ألَّف كتباً في الرد على المسلمين ومجادلتهم والطعن في دينهم.
- كان حلم حياة (ريموند لول) هدم الإسلام - وفقاً لما وصفه به (رينان) -، وجاءَت مطالبه التي رفعها إلى (كنيسة روما) في هذا السياق؛ فقد كان من بينها: طلبه إنشاء مدارس تنصيرية، وطلبه إعداد منصرين مدربين وإرسالهم إلى بلاد المسلمين، وطلبه إرسال حملة صليبية عسكرية إلى غرناطة وشمال إفريقيا وفلسطين للقضاء على المسلمين فيها.
- وبسبب هذا الدور الذي أدّاه (ريموند لول) في الجمع بين الاستشراق والتنصير والعمل على تحقيق هدفهما؛ احتل مكانة مرموقة لدى كل من المستشرقين والمنصرين، وصارت شخصيته عزيزة عليهم ومحببة إليهم إلى حد تسمية أحدهم لمولوده باسمه (أي: ريموند لول) إعجاباً به وتخليداً لذكراه، وتأليفه بخصوصه كتاباً سمّاه: (أول منصر بين المسلمين)، وقوله في بيان فضله على المستشرقين: " وإلى يومنا هذا؛ كل مستشرقي أوروبا وكتاباتهم مدينة لريموند لول؛ لأنَّ الفضل للمتقدِّم" .

أمّا من فعل هذا فهو المستشرق المنصر الأمريكي المدعو (صمويل زويمر) المعروف بتعصبه ضد الإسلام؛ وهو النموذج الثاني.

- ❑ *النموذج الثاني: المستشرق المُنَصِّر (صَمْويل زويمَر)*

- جمع هذا الرجل في نشاطاته العلمية والأكاديمية بين الاستشراق والتنصير! فكان من أهم إنجازاته في هذا الشأن: -

١) تأسيسه لمجلة (العالم الإسلامي)؛ وهي مجلة أمريكية، تُعَدُّ أخطر مجلة تنصيرية عالمية؛ تنشر بحوث المستشرقين المنصرين ومقالاتهم المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وقد ترأس تحريرها لمدة ست وثلاثين سنة، ونشر فيها عدة مقالات له، هاجم فيها الإسلام بشراسة.

٢) تأليفه في مهاجمة الإسلام والافتراء عليه كتباً شتى؛ فمنها: -

- ✓ الإسلام تَحَدٍّ لعقيدة (أصدره سنة: ١٩٠٨م).
- ✓ تَفَكُّك الإسلام.
- ✓ دراسات في الإسلام الشعبي.
- ✓ تأثير الخرافات الشعبية بين المسلمين على الإسلام؛ وهو أحد المراجع الأساسية للمنصرين التي أوصى بها (مؤتمر كولورادو التنصيري، سنة (١٩٧٨م).

٣) تأسيسه مع زملائه (الإرسالية الأمريكية العربية) في منطقة الخليج العربي، سنة (١٨٨٩م). تلك الإرسالية التي عُرِفَت بممارستها للنشاطات التنصيرية خفية؛ وذلك من خلال التعليم والتطبيب؛ حيث أنشأت العديد من المدارس والمكتبات والكنائس في البصرة والكويت وقطر والإمارات، واستمرت في ممارسة نشاطاتها إلى سنة (١٩٧٣م) ثم توقفت.

٤) تنظيمه للمؤتمرات التنصيرية العالمية، وهي كثيرة؛ فمنها: -

- ✓ مؤتمر (القاهرة) التنصيري، سنة (١٩٠٦م)؛ ذلك المؤتمر الذي ضَمَّ ستين ممثلاً لثلاثين كنيسة وإرسالية تنصيرية، وَوُصِفَ بأنَّه يمثل بداية عهد جديد لإرساليات التنصير بين المسلمين.
- ✓ مؤتمر (أدِنْبَرَة) للإرساليات العالمية، سنة (١٩١٠م).
- ✓ مؤتمر (لكهنئو) – بالهند – التنصيري الثاني، سنة (١٩١١).
- ✓ مؤتمر (القدس)، سنة (١٩٣٥م)؛ وفيه أَعْلَنَ بعض الأهداف التنصيرية الخبيثة؛ حيث خاطب المنصرين قائلاً – وِفق ما نقله محمد محمود الصواف، في كتابه : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام - :

" إنَّكم أعددتم نشئاً (في بلاد المسلمين) لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أنْ يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي؛ لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات: فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإنْ تَبَوَّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء. إنَّ مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار؛ فاستمروا في أداء رسالتكم " .

- وبسبب هذا الدور الذي أدّاه (صمويل زويمر) في الجمع بين الاستشراق والتنصير وخدمة هدفهما؛ وتقديراً لجهوده في هذا المجال تم إنشاء معهد في جنوب كاليفورنيا، يحمل اسمه (معهد صمويل زويمر)؛ جعلت مهمته إعداد الأبحاث وجمع المعلومات وتدريب المنصرين على تنصير المسلمين. وذلك بتوصية من (مؤتمر كولورادو) التنصيري.
- وإنَّ ما قاله رئيس منظمة التصور العالمي التنصيرية الدولية؛ المدعو (ستانلي مونهام) في الخطاب الرئيسي لمؤتمر كولورادو التنصيري، في الإشادة بالمستشرق المنصر (صمويل زويمر) لَيَدُلُّ دلالة واضحة على تلك المكانة المرموقة التي احتلها هذا الرجل لدى كل من المستشرقين والمنصرين.
- قال (ستانلي مونهام) في الخطاب الرئيسي لمؤتمر كولورادو التنصيري،– وِفق ما نقله محمد محمود الصواف، في كتابه : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام - :

"أين هم الطلبة الذين يدرسون الإسلام، والذين يستطيعون أن يباروا طلاب الماضي؟ ليعطنا الرب رجلا مثل (صمويل زويمر)؛ الذي أتقن اللغة العربية، وكان عالماً محترفاً في الإسلاميات، ومنصراً مقنعاً.

لقد عمل لمدة ثلاث وعشرين سنة منصراً في الجزيرة العربية، وست عشرة سنة مديراً لمركز الدراسات الإسلامية والمطبوعات في القاهرة.

واستطاع في الوقت نفسه الإشراف على تحرير أهم مجلة نصرانية عن الإسلام لمدة ست وثلاثين سنة، وهي مجلة العالم الإسلامي " .

ومن خلال هذين النموذجين تتضح صورة العلاقة الحميمة بين الاستشراق والتنصير!

المحاضرة السابعة

عنوان المحاضرة السابعة وعناصرها

علاقة الاستشراق بالاستعمار

أولاً: إضمار كل من الاستشراق والاستعمار الشرّ للأمة الإسلامية

ثانياً: خدمات الاستشراق للاستعمار

ثالثاً: خدمات الاستعمار للاستشراق

أولاً: إضمار كل من الاستشراق والاستعمار الشرّ للأمة الإسلامية

- **إنَّ علاقة الاستشراق بالاستعمار علاقة قوية متينة؛ أنتجها التقاء الهدف الديني للاستشراق والهدف السياسي للاستعمار؛ في إضمارهما كليهما الشر للأمة الإسلامية وحرصهما على إلحاق الأذى بالمسلمين (ديناً ووطناً).**
- **فإذا كان الاستشراق يهدف إلى إلحاق الأذى بالمسلمين (ديناً)؛ وذلك بالعمل على إضعاف تمسك المسلم بدينه، بشكل يقوده إلى الردَّة عنه إلى (النصرانية) أو إلى أي شيء آخر (كأن يصبح علمانياً أو قومياً أو اشتراكياً)؛ فإنَّ الاستعمار يهدف إلى إلحاق الأذى بالمسلمين (وطناً)؛ وذلك بالعمل على إخضاعهم واحتلال أراضيهم، ونهب ثروات بلادهم.**
- **إذَنْ؛ فإن النتيجة المترتبة على تَحَقُّق هدفيهما سوف تكون واحدة، وهي: خضوع المسلمين للغرب، وتبعيتهم له فكرياً واجتماعياً وسياسياً.**
- **ومن هنا تعاون الاستشراق والاستعمار دائماً على (الشرِّ والعُدْوان) ،ولم يتعاونا أبداً على (الخير والإحسان)؛ وذلك في تعاملهما مع الأمة الإسلامية.**
- **فقد عُرِف المستشرقون بعمالتهم للاستعمار، وحرصهم على تحقيق أهدافه، وكانوا الطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة على بلادهم – وفقاً لما يراه العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية) -.**
- **ولقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين (المستشرق) و(المستعمر) إلى حد تعذَّر معه التمييز بينهما - فعلى سبيل المثال لا الحصر-: في الوقت الذي بدا فيه مستشرق بريطاني وكأنّه (موظف استعماري)، حيث أصدر كتاباً في أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج؛ الجغرافي والتاريخي)، بدا كثير من الموظفين الاستعماريين وكأنَّ كل واحد منهم (مستشرق)، حيث كانوا على دراية بالشرق (لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً)، لأنَّ الاستعمار كان**

يشترط على كل متقدم لوظيفة في الإدارة الاستعمارية الدراية التامَّة بالمنطقة التي سيعمل فيها.

- **❑ حَرِيٌّ بالذِّكْر:**
- **أنَّ الغرب النصراني بدأ استعماره التدريجي للشرق الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي.**
- **وما أنْ أتت نهاية ذلك القرن حتّى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريباً – في قارتي آسيا وأفريقيا – قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي النصراني بوجه عام، والاستعمار البريطاني والفرنسي بشكل خاص.**

ثانياً: خدمات الاستشراق للاستعمار

- **❑ لقد سار المستشرقون في ركاب الاستعمار؛ وقدموا له خدمات جليلة، وهي كثيرة؛ فمنها: -**
- **✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بثروات البلاد المراد استعمارها وخيراتها؛ ممّا عزَّز أطماعه في استعمارها؛ للاستيلاء على تلك الثروات والفوز بتلك الخيرات.**
- **✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بجغرافية البلاد المراد استعمارها وتاريخها؛ ممّا سهل عليه إخضاعها والسيطرة عليها.**
- **✓ أنَّهم قدموا له معلومات مفصلة ودقيقة، تتعلق بالخلفية الفكرية للبلاد المراد استعمارها، وأسرها الحاكمة، وعادات أهلها وتقاليدهم؛ ممّا سهل عليه فهم أهلها المُخْضَعين والتعامل معهم، ونيل ثقتهم.**

- ✓ أنَّهم هَيَّئوا أهل البلاد المراد استعمارها نفسياً لتَقَبُّل الاستعمار؛ وذلك بما أقنعوهم به من أنَّ الاستعمار سيجلبُ لهم الرفاهية ويُحَسِّنُ أحوالهم المعيشية والخدماتية، وغير ذلك ممّا أوهموهم به؛ ليستسلموا للاستعمار ويتقاعسوا عن مقاومته. ولا يخفى ما في ذلك من خدمة للاستعمار وتسهيلٍ لمهمته.

❑ وقد كان من بين هؤلاء المستشرقين الذين قدموا للاستعمار تلك الخدمات الجليلة؛ كلٌّ من: -

١. الكونت دوفولني؛ وهو مستشرق فرنسي، انتحل شخصية رحَّالة فطاف البلاد الإسلامية، وجمع مشاهداته في كتاب سمّاه (رحلة في مصر وسورية) - صدر عام (١٧٨٧م) في مجلدين- تعرَّض فيه للإسلام بسوء؛ بل تحامل عليه، وَعَدَّ الشرق الإسلامي مجرَّد مكان يمكن لفرنسا احتلاله وتحقيق أطماعها الاستعمارية فيه؛ وكان كتابه هذا مصدراً اعتمد عليه الإمبراطور الفرنسي (نابليون بونابرت) في وضع خطة حملته على مصر.

٢. بارتولد (ت:١٩٣٠م)؛ وهو مستشرق روسي، ومؤسس (مجلة عالم الإسلام) الروسية. وقد قام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في (آسيا الوسطى).

٣. كارل بيكر (ت:١٩٣٣م)؛ وهو مستشرق ألماني، ومؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية، التي صدرت عام (١٩١٠م)، ويعد من أشهر المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي. تولى منصب أستاذ في معهد هامبورغ الاستعماري الذي أنشأته الحكومة الألمانية لمساعدتها في التعامل مع الشعوب العربية والأفريقية، وقد قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في قارة أفريقيا.

٤. سنوك هَرْجَرونْجِه (ت:١٩٣٦م)؛ وهو مستشرق هولندي، ادّعى الإسلام وتظاهر به (كذباً وتمثيلاً). قدم إلى إندونيسيا، فزار (سومطرة) و(آجي) وأقام في (جاوة) مدة سبعة عشر عاماً، تزوج خلالها مسلمة - وله منها أولاد – ووثق صلته بكثيرين من علمائها. وقد خدم الاستعمار الهولندي؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة الهولندية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في إندونيسيا.

قام بمهمة سرية تجسسية لجمع المعلومات عن المسلمين في إقليم (آجي) الثائرين على الاستعمار الهولندي، التقى خلالها العلماء بصفته مسلم، فاكتشف أنهم المحرك الأول للثورة الإسلامية هناك؛ فعاد وقدَّم تقريره لحكومته، أوصاها فيه بما كانت نتيجته إبادة الجيش الهولندي المستعمر لأكثر من مائة ألف مسلم ومسلمة، وتدميره لقراهم بكاملها.

ثم قدم إلى مكة عام (١٨٨٥م) تحت اسم (عبد الغفار)، فمكث فيها مدة نصف عام، وثق خلالها صلته بالكثير من أهل العلم بتردده على مجالسهم العلمية، كما التقط خلالها صوراً لمكة وللأماكن المقدسة. ثم عاد إلى بلاده ليكتب تقاريره التي تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي. وقد صدرت تلك الصور في كتاب مستقل بمناسبة مرور مائة سنة على التقاطها.

٥. دَنْكان ماكدونالد (ت:١٩٤٣م)؛ وهو مستشرق أمريكي من أصل انجليزي. كان من أشد المتعصبين ضد الإسلام . وهو من كبار محرري (دائرة المعارف الإسلامية) ، ومن كتبه : (الموقف الديني والحياة في الإسلام) - أصدره عام ١٩٠٨م - . وقد خدم الاستعمار البريطاني؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة البريطانية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية.

٦. لويس ماسينيون (ت:١٩٦٢م)؛ وهو مستشرق فرنسي، شغل منصب مدير الدراسات في (المدرسة العلمية العليا) بفرنسا. وقد خدم الاستعمار الفرنسي؛ حيث عمل بصفة رسمية كمستشار للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في دول شمال أفريقيا.

٧. هاملتون جِب (ت:١٩٧١م)؛ وهو مستشرق انجليزي. شغل منصب مدير (مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط) بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد عمل بصفة رسمية كمستشار لكل من الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية في تخطيط سياستهما الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.

اذَنْ؛ فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية للدول الاستعمارية بقوة وبإخلاص تام.

ثالثاً: خدمات الاستعمار للاستشراق

- **لقد خدم الاستعمار الاستشراق خدمات كبيرة؛ وهي كثيرة، فمنها:-**

➢ **تسخير الحكومات الاستعمارية إمكانياتها المادية الضخمة لخدمة الجهود الاستشراقية؛ من حيث:**

✓ **دعم المستشرقين دعماً مادياً ومعنوياً.**

✓ **توفير الدعم المالي الطائل لوسائل النشر والإعلام المعنية بنتاج الباحثين المستشرقين.**

✓ **اعتماد ميزانيات مالية كبيرة لصالح مراكز الدراسات الاستشراقية المعنية بالدراسات الإسلامية في الشرق الإسلامي، ولكراسي تدريس اللغة العربية والإسلام بالجامعات.**

➢ **إنشاء الحكومات الاستعمارية المعاهد والمدارس المعنية بدراسة الشرق الإسلامي؛ وهي كثيرة، فمنها: -**

✓ **إنشاء (معهد اللغات الشرقية) بباريس، عام (١٨٨٥م)، من قِبَل الحكومة الفرنسية، وتحديد مهمته بأنَّها: الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى؛ مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق.**

✓ **تأسيس (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) بجامعة لندن، من قبل الحكومة البريطانية، بناء على اقتراح من أحد النواب في البرلمان البريطاني.**

✓ **تأسيس (مجلس الشئون الشرق أوسطية) عام (١٩٤٩م) في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.**

➢ **منح الحكومات الاستعمارية المستشرقين فرصة الاطلاع على التراث الفكري والحضاري للمسلمين - من مراجع ومخطوطات ووثائق علمية تتعلق بالإسلام (عقيدة وشريعة وتاريخاً) وعلوم المسلمين، والتي بلغ عددها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي مائتين وخمسين ألف مجلد؛ وفقاً لما ذكره مصطفى السباعي في كتابه: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم- ذلك التراث المهم الذي حصلت عليه تلك الحكومات ونقلته إلى عواصمها؛ لتُسَهِّل على المستشرقين الوصول إليه، ودراسته في المؤسسات العلمية المعنية (من معاهد وجامعات). ولا يخفى ما في هذا من عون للمستشرقين لتحقيق أهدافهم، وخاصة الديني منها؛ المتمثل بالتحريف للإسلام والتشكيك فيه وإثارة الشبه حوله.**

إذَنْ؛ فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية للدول الاستعمارية، وخدمت الحكومات الاستعمارية الهدف الديني للاستشراق؛ بما لا يدع مجالاً للشك في قوة العلاقة التي تربط الاستشراق بالاستعمار، وأنَّها علاقة تقوم على أساس (إضمار الشر) للأمة الإسلامية، و(التعاون على العدوان) عليها.

يقول المفكر الإسلامي (فالح الصغيِّر) في بحثه: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية: " والحق أنَّ الاستشراق صار ملازمًا للاستعمار أينما حَلَّ وأناخ، وتوسع مجاله ونطاقه بتوسع احتلاله واغتصابه لحقوق الشعوب عامة والمسلمين خاصة" .

المحاضرة الثامنة

عنوان المحاضرة الثامنة وعناصرها

المستشرقون والقرآن الكريم - الجزء الأول

أولاً: تعريف القرآن الكريم

ثانياً: أبرز أُسُس منهج المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم

ثالثاً: ترجمة المستشرق (جولد زيهر)

رابعاً: ترجمة المستشرق (جوستاف لوبون)

أولاً: تعريف القرآن الكريم

- ❑ **تعريفه (لغةً):**
- **مصدر الفعل (قَرَأَ):أي: جَمَعَ وضَمَّ. [تقول: (قَرَأَ، قِراءَةً)، وتقول أيضاً: (قَرَأَ، قُرْآناً) فهما بمعنى واحد؛ هو: جمع الحروف والكلمات، وضَمُّها بعضها إلى بعض في الترتيل؛ قال الله سبحانه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؛ أي: جمعه وتأليف بعضه إلى بعض. وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾؛ أي: فاتبع قراءته.**
- **وهو مصدر على وزن (فُعْلان)؛ كالغُفْران، والشُكران. وقد سُمِّيَ المقروء (قُرْآناً)؛ تسمية للمفعول بالمصدر.**
- **وقد خُصَّ (القرآن) بالكتاب المنزل على محمد ؛ فصار له كالعَلَم الشخصي.**
- **وإذا كانت تسمية هذا الكتاب السماوي (المنزل على محمد خاصَّة) بهذا الاسم (القرآن)، عائدة عند بعض العلماء إلى كونه قد جمع السور القرآنية فضمها جميعها؛ فإنَّها عائدة عند علماء آخرين إلى كونه قد جمع ثمرة الكتب السماوية الأخرى، فضمها جميعها.**

- ❑ **تعريفه (شرعاً):**

عَرَّفه أهل العلم بأنَّه: كلام الله سبحانه، المُنَزَّل على رسوله محمد، المتعبد بتلاوته، المعجز بلفظه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر.

- ❑ **حَرِيٌّ بالذِّكْر:**
- **أنَّ القرآن الكريم له أسماء كثيرة، سمّاه بها الله سبحانه؛ فمنها: القرآن، الكتاب، الفرقان، الذِّكْر، التنزيل.**
- **وقد غَلَب من أسمائه تلك اسمان؛ هما:-**
- ✓ **(القرآن)؛ قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ ﴾**
- ✓ **(الكتاب)؛ قال الله سبحانه: ﴿لَقَد أَنزَلنا إِلَيكُم كِتابًا فيهِ ذِكرُكُم أَفَلا تَعقِلونَ﴾**

وفي هذا لفتة مهمة؛ نبَّه عليها المفكر الإسلامي محمد دراز (في كتابه: النبأ العظيم) فقال: " روعي في تسميته (قرآناً) كونه متلُوّاً بالألسن، كما روعي في تسميته (كتاباً) كونه مدوناً بالأقلام!... وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنَّ من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد؛ أعني أنَّه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أنْ تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى"

ثانياً: أبرز أُسُس منهج المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم

- **على الرغم من وجود فئة من المستشرقين عرفت (في دراستها للإسلام) بإنصافها وتميزت بموضوعيتها؛ إلا أنَّ الكثرة الكاثرة من المستشرقين لم تسلم نفوسهم من إضمار الشر للإسلام وأهله؛ بل أعماهم الهوى عن إبصار الحقيقة، ومنعهم التعصب من الإنصاف والموضوعية؛ فطعنوا في القرآن الكريم، وشككوا في صحته، وافتروا عليه افتراءات كثيرة؛ وذلك في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى إزهاق روحه والقضاء عليه؛ من خلال القضاء على مصدره الأول (القرآن الكريم).**
- **وقد قامت دراسة هؤلاء (المفترين) للقرآن الكريم على أسس غير سليمة؛ بل ومخالفة لمقتضيات المنهج العلمي في البحث والتحقيق، وهي كثيرة؛ فمن أبرزها الأسس الأربعة الآتية – وهي على سبيل المثال لا الحصر- : -**

١. **استقاؤهم معلوماتهم من علمائهم هم [أي: من المستشرقين الذين كتبوا عن القرآن الكريم]، وليس من علماء الإسلام المعتمدين؛ مما جعل دراساتهم وأبحاثهم منقوصة الحقائق، ممتلئة بالشكوك والأباطيل. مثلما فعلوا عندما ادّعوا أنَّ القرآن الكريم مزيج من النثر البليغ والشِّعْر المُقَفّى، الذي نظمه الرسول على غرار الشعر الجاهلي، فجاء ممتلئاً سجعاً وقوافي.**

٢. إنشاؤهم قضايا كاذبة، وتقديمهم إيّاها على أنَّها مُسَلَّمات صادقة؛ ثم انطلاقهم منها في ممارسة الافتراءات وتقديمها على أنّها نتائج مُلْزِمَة. مثلما فعلوا عندما وضعوا قاعدة تقول: ليس القرآن وحياً من الله إلى رسوله (محمد)، ثم صاغوا افتراءاتهم في ضوئها.
٣. اكتفاؤهم بإيراد الشبه وإثارة الشكوك حول المسائل المدروسة؛ دون إجراء تحقيق علمي بشأنها أو إقامة للأدلة العلمية عليها. مثلما فعلوا عندما وصفوا طريقة نزول القرآن بواسطة الوحي بأنها هذيان مصاحب لصرع أو مرض عقلي كان يصيب الرسول
٤. دفعهم المستمر باتجاه تثبيت مقولتهم (إنَّ القرآن مأخوذ من الكتابين السماويين: التوراة و الإنجيل) على أنَّها حقيقة مؤكدة؛ سعياً منهم لتبرير بطلان الإسلام وسلامة الديانتين (اليهودية) و (النصرانية). مثلما فعلوا عندما ادّعوا أنَّ كل ما تحدث عنه القرآن الكريم بشأن اليوم الآخر وأهوال يوم القيامة إنَّما هو مستقى من اليهودية والنصرانية.

ثالثاً: ترجمة المستشرق (جولد زيهر)

هو إجناز جولدزيهر [Ignaz Goldziher]، (١٨٥٠-١٩٢١م): -

- ✓ مستشرق مجري الجنسية، يهودي الأبوين والديانة.
- ✓ درس في بودابست (عاصمة المجر) ثم برلين ثم انتقل إلى جامعة ليبسك والتحق فيها بقسم الدراسات الشرقية، وحصل منها على شهادة الدكتوراه.
- ✓ رحل إلى القاهرة، وحضر بعض الدروس في الأزهر، ثم رحل إلى سوريا، وصحب الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم انتقل إلى فلسطين.
- ✓ عمل في جامعة بودابست في مجال الدراسات العربية والإسلامية، ثم أصبح أستاذاً للغات السامِيَّة عام (١٨٩٤م).
- ✓ يُعَدُّ عمدةَ المستشرقين اليهود في التاريخ الحديث؛ بل أكبرَ المستشرقين المتعصبين جميعاً، ورأسَهم.
- ✓ كما يُعَدُّ بحق أخطرَ مستشرق ظهر في الغرب خلال القرون الثلاثة الأخيرة؛ من حيث ما أظهره في كتاباته حول الإسلام (عقيدة وشريعة وتاريخاً) من تحامل عليه ومغالاة في معاداته وتعصب ضده ومهاجمة لمصدريه (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)، وكتبه في هذا المجال كثيرة؛ فمن أهمِّها: -

١. الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم.
٢. دراسات إسلامية.
٣. الإسلام والدين الفارسي.
٤. العقيدة والشريعة في الإسلام (تمت تَرْجَمته عام: ١٩٤٦م).
٥. مذاهب التفسير الإسلامي (تمت تَرْجَمته عام: ١٩٥٥م).

- ✓ كان له تأثير قوي في الدراسات الاستشراقية، ولم يزل تأثيره ذاك قائماً حتى يومنا هذا؛ حيث انتشرت كتبه بمختلف اللغات الأوروبية.

فهذه (جامعة برنستون) بالولايات المتحدة الأمريكية - على سبيل المثال لا الحصر- لم تزل تقرِّر كتابه (دراسات إسلامية) في مناهج (قسم دراسات الشرق الأدنى) بها، كما قامت مؤخراً بنشر ترجمة جديدة لذلك الكتاب مع تعليقات للمستشرق (برنارد لويس).

- ✓ وقد رد عليه عدد من المفكرين الإسلاميين؛ كان من أبرزهم: -
  - مصطفى السباعي؛ في كتابه: السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي.
  - محمد الغزالي؛ في كتابه: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.
  - نور الدين عتر؛ في كتابه: منهج النقد في علوم الحديث.

- محمد جبل؛ في كتابه: الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية.

✓ كما أُعدَّت حول (الجوانب العقدية والتاريخية في كتاباته) بحوث كثيرة، ورسائل علمية في بعض الجامعات العربية.

رابعاً: ترجمة المستشرق (جوستاف لوبون)

هو جوستاف لوبون [G.Lebon] ، (١٨٤١ -١٩٣١م).

✓ مستشرق فرنسي.

✓ فيلسوف، وطبيب، ومؤرخ، وعالم آثار.

✓ يُعَدُّ من أشهر فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين، وله في هذا المجال كتاب : روح الاجتماع.

✓ عمل في أوروبا، وآسيا، وشمال أفريقيا.

✓ قام خلال حياته برحلات عِدَّة إلى أقطار العالم الإسلامي؛ اطلع خلالها على علوم المسلمين؛ فترسخ لديه اعتقاد جازم بأنَّ المسلمين هم من مَدَّنوا أوروبا.

✓ اهتم بدراسة الحضارات الشرقية عامَّة؛ وكتب في ذلك عِدَّة كتب؛ فمنها: -

١. حضارات الهند.
٢. الحضارة المصرية.
٣. سِرُّ تقدم الأمم.

✓ كما اهتم بدراسة الحضارة العربية والإسلامية خاصَّة؛ وكتب في ذلك كتابين؛ هما: -

١. حضارة العرب في الأندلس.
٢. حضارة العرب (تمت ترجمته).

✓ يُعَدُّ عمدةَ المستشرقين اليهود في التاريخ الحديث؛ بل أكبرَ المستشرقين المتعصبين جميعاً، ورأسَهم.

✓ لمْ يَنْهَج (في كتاباته) نهج معظم المؤرخين الغربيين في تجاهل فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا وإنكاره؛ وإنّما أقَرَّ بذلك الفضل؛ حيث أصدر عام (١٨٨٤م) كتابه (حضارة العرب)؛ الذي جمع فيه عناصر عديدة مِمّا أثَّرت به حضارة العرب والمسلمين على العالم. فكان بذلك من الغربيين القلائل الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية.

✓ ورغم أنَّه عُرِفَ بالمعرفة والتحقيق إلا أنَّه وقع في أخطاء جسيمة تتعلق بآرائه في القرآن الكريم.

المحاضرة التاسعة

عنوان المحاضرة التاسعة وعناصرها

المستشرقون والقرآن الكريم - الجزء الثاني

أولاً : مُسَلَّمات تتعلق بالقرآن الكريم

ثانياً : أَبْرَزُ فِرْيات المستشرقين على القرآن الكريم

أولاً : مُسَلَّمات تتعلق بالقرآن الكريم

❑ القرآن الكريم: هو كلامُ الله عَزَّ وجَلّ

- أنزله الله على رسوله محمد ، بواسطة جبريل عليه السلام؛ في كتاب سماوي مستقل؛ فقال سبحانه: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾، ونُقِلَ إلينا بالتواتر.

- تَعَهَّد الله بجمعه (حروفاً وكلماتٍ)، وتأليف بعضه إلى بعض؛ فقال سبحانه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؛ لذا فإنَّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!
- تَعَهَّد الله بحفظه؛ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظونَ﴾ ؛ لذا فهو كتاب الله عزّ وجلّ الخالد، المحفوظ من الضياع والتحريف!
- جعله الله مُعْجِزاً بلفظه؛ فقال سبحانه: ﴿ قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا ﴾؛ لذا فإنَّه لا يمكن الإتيان بمثله!
- ليس القرآن الكريم كلام الرسول محمد ؛ فما كان لرسول الله أن يَذَرَ الكذب على الناس، ويكذب على الله! وقد رَدَّ الله تعالى على ادِّعاءات المشركين أنَّ محمداً يفتري على الله الكذب، فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.
- وهذه كلها مُسَلَّماتٌ؛ بل حقائقُ ، معلومةٌ من دين الإسلام بالضرورة، لا ينازع فيها مؤمن رضي بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

ثانياً : أَبْرَزُ فِرْيات المستشرقين على القرآن الكريم

- برزت لدى معظم المستشرقين نزعتهم العدائية للإسلام؛ بتشكيكهم في هذه المُسَلَّمات، وافترائهم على القرآن الكريم أعظم الفِرْيات.
- وقد كان المستشرقان: (إجناز جولدزيهر) و (جوستاف لوبون) من بين هؤلاء المفترين على القرآن الكريم - على تفاوت بينهما في حجم افتراءات كل منهما عليه -.
- وقد كان هدف هؤلاء المفترين: فصلَ المسلم عن إسلامه، وزعزعةَ ثقته بكلام ربّه سبحانه، إلا أنَّ محاولاتهم تلك باءت بالفشل الذريع؛ وتساقطت فِرْياتُهم وشبهاتهم الواهنة أمام سورالحق المنيع، فَزَهَقَ باطلهم وطُمِسَت معالمه - ولله الحمد والمِنَّة - مصداقاً لقول الله سبحانه: ﴿بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى الباطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيلُ مِمّا تَصِفونَ﴾ !
- وفريات هؤلاء بهذا الخصوص كثيرة ، يحتاج إيرادها جميعها إلى كتابات مستقلة؛ مِمّا يجعل الاكتفاء بإيراد الفريتين البارزتين الآتيتين أمراً ملائماً؛ يفي بالغرض (وهو التَّعَرُّفُ على موقف المستشرقين من القرآن الكريم)، ويناسب الوقت المتاح : -

الفِرْيَةُ الأولى : القرآن كتاب ألَّفَه محمد مِمّا في التوراة والإنجيل

الفِرْيَةُ الثانية : القرآن كتاب مفكك ذو أسلوب خال من الترتيب فاقد للسياق

الفِرْيَةُالأولى : القرآن كتاب ألّفه محمد مِمّا في التوراة والإنجيل

❑ العرض:

- طعن هذان المستشرقان (إجناز جولدزيهر) و (جوستاف لوبون) في مصدر القرآن الكريم؛ فزعما أنَّ كتاب الله كتابٌ ألَّفَه الرسول محمد ﷺ من جملة معارف وآراء دينية وُجِدَت قبله (في التوراة والإنجيل)، كان قد تيسَّر له الحصول عليها واقتباسها بسبب اتصاله باليهود والنصارى.
- فأنكرا بهذا الزعم حقيقة كون القرآن (كلامُ الله عَزَّ وجَلّ، المنزل على رسوله محمد ﷺ ، بواسطة جبريل عليه السلام، في كتاب سماوي مستقل).
- وتطابق موقفهما هذا من القرآن الكريم مع موقف الكافرين منه؛ وهو ما وَضَّحه الله سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ، وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .

- فمن أقوال (جولد زيهر) بهذا الخصوص:

✓ قوله: " فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثَّر بها عميقاً ...

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية؛ فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً ".

✓ وقوله أيضاً: " إنَّ ما يُبَشِّرُ به محمد والمتعلقَ بالدار الآخرة ليس إلا مجموعةَ مواد استقاها بصراحة من الخارج [أي: من اليهودية والنصرانية] يقيناً ، وأقام عليها التبشير، ولقد استفاد من تاريخ العهد القديم [أي: التوراة ووصايا أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد الرسول (موسى) عليه السلام]، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ".

- ومن أقوال (جوستاف لوبون) بهذا الخصوص:

✓ قوله: " وما جاء في القرآن من نص على خلق السماوات والأرض في ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها، ويوم الحساب مقتبس من التوراة ".

✓ وقوله أيضاً: " إذا أرجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسية أمكننا عدّ الإسلام صورة مبسَّطة عن النصرانية " .

❑ الرَّد: رَدَّ صاحب الكتاب المقرّر على هذه الفرية؛ فقال:" الأمر الذي يجب أنْ يُعْلَم

➢ أنّ القرآن الكريم تحدى العرب والعجم والإنس والجن أنْ يأتوا بمثله سوراً أو آيات من القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا ﴾.

➢ والقرآن الكريم قد احتوى من المعارف والأنظمة وقصص الغيب ما لا نجده في الكتب التي سبقته...

➢ وأما عن القربى الوشيجة بالتوراة والإنجيل؛ فإنَّ القرآن الكريم والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى كانت وحياً من الله.

➢ وتتفق هذه الكتب السماوية في الأصول العامة؛ فهي تؤمن بالله وبالنبوة وباليوم الآخر وبالبعث والحساب والجنة والنار... إلخ، قبل أنْ يحل تحريف في التوراة والإنجيل ".

➢ والدارس المتفحص لا يجد في القرآن الكريم أيَّة ملامح يهودية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر: ليس فيه تفضيل لشعب على شعب - كما قال بنو إسرائيل بأنَّهم (شعب الله المختار) - ، وإنَّما فيه مساواة بين الخلق جميعاً؛ مصداقاً لقول الله سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

➢ كما إنَّ الدارس المتفحص لا يجد في القرآن الكريم تأثيراً للنصرانية؛ إذ لو كان لذلك التأثير وجودٌ، لَأَلَّهَ المسلمون محمدا ﷺ مثلما ألَّه النصارى عيسى عليه السلام، ولكن هذا لم يحصل أبداً، فلم يرفع القرآن محمداً ﷺ فوق عالم البشر بتاتاً، وإنَّما جعله في أرقى مقامات العبد، وهو مقام العبودية لله؛ فقال الله سبحانه: ﴿ سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى الَّذي بارَكنا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾.

➢ إنَّ الرسول ﷺ كان أُمّيا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يثبت له صلة باليهود أو النصارى في مكة قبل البعثة؛ فكيف يتأتى له الأخذ عنهم!

فقد ورد في القرآن الكريم الرَّد على هذه المزاعم، حين زعم كفار قريش أنَّ الرسول ﷺ كان يعلمه غلام نصراني [أو راهب نصراني اسمه بحيرى أو جرجيس أو سرجيوس] ؛ وهو قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾؛ فكيف يمكن للأعجمي أو الرومي أو الفارسي أو اليهودي أو النصراني أنْ يعلم العربي، ويأتيه بقرآن عربي مبين عجز العرب عن الإتيان بمثله !! .

- إنَّ هذه الافتراءات لشيء عجاب، لا تصدر عن شخص يحترم عقله وعلمه وأبحاثه، لكنَّ الحقد يعمي الحاقد عن الحقيقة .

الفرْيَةُ الثانية : القرآن كتاب مفكك ذو أسلوب خال من الترتيب فاقد للسياق

❑ العرض:

طعن المستشرق (جوستاف لوبون) في إعجاز القرآن الكريم؛ فزعم أنَّه كتاب مفكك ذو أسلوب خالٍ من الترتيب فاقدٍ للسياق؛ وعلّل حصول ذلك بأنَّ القرآن قد كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة،؛ متجاهلاً بهذا حكمة نزوله منجماً (تبعاً للوقائع والأحداث).

ومن أقواله بهذا الخصوص:

✓ قوله في كتابه: حضارة العرب، وتحت عنوان (خلاصة القرآن):

" القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ودستورهم الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم.

وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط [أي: مفكك] ...

وأسلوب هذا الكتاب - وإن كان جديراً بالذكر أحياناً - خال من الترتيب، فاقد السياق كثيراً.

ويسهل تفسير هذا عند النظر في كيفية تأليفه؛ فقد كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة، فإذا ما اعترضت محمداً معضلة أتاه جبريل بوحي جديد حلاً لها، ودوَّن ذلك في القرآن ".

✓ وقوله أيضاً (في كتابه المذكور نفسه): "ويقال إنَّ محمداً كان قليل التعلم - ونرجح ذلك - وإلا لوجدت في تأليف القرآن ترتيباً أكثر ممّا فيه ".

❑ الرَّد: = فيما يتعلق بالرد على طعن (لوبون) في إعجاز القرآن الكريم:

- يقول المفكر الإسلامي أحمد غراب - بعد إيراده تلك الطعون -: " والأعجبُ من هذه الافتراءات الساقطة، والأدلُّ على سقوطها، أنّها تأتي من رجل لم يُعرَف عنه أنَّه أجاد لغة القرآن، فضلاً عن أنْ يفهم إعجازه " .
- ثم إنَّ عنصر الإعجاز لا يفارق القرآن الكريم أبداً؛ فالقرآن معجزة واضحة في صياغته، وهذه حقيقة فهمتها الجزيرة العربية ومن ورائها الأدباء العرب في كل مكان وزمان.
- وقد جاء القرآن الكريم على امتداده وطوله متناسباً في الفصاحة؛ على ما وصفه الله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ .

= وفيما يتعلق بالرد على تجاهل (لوبون) لحكمة نزول القرآن الكريم منجماً:-

يقول صاحب الكتاب المقرّر : "

- نزل القرآن مفرقاً على النبي في بضع وعشرين سنة، وكان ينزل وفق الحوادث والأسئلة التي ترد، وقد ينزل القرآن في غير ذلك مراعياً إصلاح النفس الإنسانية وفق منهج رباني خاص.
- وإنَّ وراء نزول القرآن مفرقا حكماً وأسراراً: ذكر بعضها الله سبحانه في كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾؛ فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أنَّ الآيات كانت تنزل تسلية وتثبيتاً للرسول ، بِدَحْضِ مُفْتريات المشركين وأهل الكتاب مما يتقوَّلونه ويتخرَّصونه.

- وقال تعالى: ﴿ وَقُرآنًا فَرَقناهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكثٍ وَنَزَّلناهُ تَنزيلًا ﴾؛ فتدل هذه الآية على حكمة التدرج في قراءة القرآن الكريم وفهمه، فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يحفظون الخَمْسَ والعَشْرَ من الآيات مع العمل بها، بعد فهمها فهماً كاملاً.
- والحكمة التي تتجلى في هذا التنزيل، ولها أثرها في تربية الأفراد والجماعات وأخذ النفوس بما يلائمها ولا يخرج عن طاقتها المحدودة هو (التدرج في التشريع) ، إذْ بهذا التدرج أقلعت النفوس عن كثير من المساوئ الاجتماعية التي لم يستطع أيُّ قانون أنْ يلغيها أو يَحُدَّ منها، وأصدق مثل على ذلك أنَّ الإسلام قد حرَّم الخمرة على مراحل... ولو أردنا أنْ نستقصي الحكمة في ذلك لطال بنا النظر... فإنَّ تحت كل كلمة في القرآن سراً يبهر الألباب...

فإنَّ طبيعة الإسلام كخاتم للأديان، تقضي بأنْ يبيء الجماعة التي تستطيع أنْ تحمل رسالته بعد رسول الله ﷺ وإلى أنْ تقوم الساعة؛ لأنّ رسالة الإسلام إنَّما هي رسالة عامَّة للبشرية جميعاً، ورسول الله ﷺ إنَّما هو رسول للناس كافَّة؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ حتى تستنيرَ البشرية بهذا الدين، الذي جعله الله كاملاً في كل شيء، يلبي حاجات البشرية فيما يصلحها؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ".

هذا مقتطف من الرَّد على هاتين الفريتين؛ وإلا فالحديث في هذا المجال متسع، ولكنَّ الوقت المتاح ضيِّق، وكتب العلماء الغيورين على دينهم ممتلئة بالرد على مثل هذه الفريات.

المحاضرة العاشرة

عنوان المحاضرة العاشرة وعناصرها

المستشرقون والسنة النبوية - الجزء الأول

أولاً : تعريف السنة النبوية

ثانياً : محطات المنهج العدائي لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للسنة النبوية

أولاً :تعريف السنة النبوية

- ❑ تعريفها (لغةً):
  - هي الطريقة والعادة؛ حسنة كانت أم سيئة.
- ✓ وقد جاءت بهذا المعنى في قول الله سبحانه: ﴿سُنَّةَ مَن قَد أَرسَلنا قَبلَكَ مِن رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحويلًا﴾.
- ✓ وجاءت به أيضاً في الأحاديث النبوية الشريفة؛ كما في قول الرسول : "مَنْ سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أنْ ينقص مِنْ أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أنْ ينقص من أوزارهم شيء" [صحيح مسلم]
- ❑ تعريفها (شرعاً):

تتباين تعريفات العلماء للسنة النبوية؛ حسب نوع العلم الشرعي الذي تستعمل فيه، وذلك على النحو الآتي: -

١. السنة عند المُحَدّثين (علماء الحديث): هي ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقيَّة أو خُلُقيَّة.

✓ فالقول: هو الكلام الذي نطقه النبي وتناقله الناس بعد ذلك؛ مثل حديث: "إنما الأعمال بالنيات".

والفعل: هو ما كان يقوم به النبي من سلوك وتصرف؛ مثل كيفية صلاته، وصيامه، وحجه، كقوله : "صلوا كما رأيتموني أصلي"، وقوله "خذوا عني مناسككم".

- ✓ والتقرير: هو ما أقره النبي من أفعال الصحابة بسكوته أو بإظهار رضاه له؛ كإقراره لمن تيمم لعدم وجود الماء ثم وجده بعد الانتهاء من الصلاة ولم يعد صلاته.
- ✓ والصفة: وهي إمّا خَلْقِيَّة؛ كطول النبي ومشيه ولونه وشعره .. إلخ، أو خُلُقِيَّة كشجاعة النبي وكرمه وحلمه وصفحه وغيرها.

٢. السنة عند الأصوليين (علماء أصول الفقه)؛ هي: ما نقل عن النبي من قول أو فعل أو تقرير، مِمّا يصلح أنْ يكون دليلاً شرعياً

٣. السنة عند الفقهاء؛ هي: كل ما ثبت عن النبي ولم يكن من باب الفرض والواجب، أو بعبارة أخرى؛ هي: ما يثاب المسلم على فعله ولا يعاقب على تركه.

٤) السنة عند العَقَدِيين (علماء العقيدة)؛ هي: ما يقابل البدعة (فتشمل ما كان عليه النبي وأصحابه : اعتقاداً، وقولاً، وعملاً). أو هي: كل ما دل عليه الدليل الشرعي؛ سواء كان هذا الدليل من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة أو من قواعد الشريعة.

ومنه؛ قول النبي : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومُحْدَثات الأمور فإنَّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".

❑ تعريف الحديث (شرعاً):

هو: علم يعرف به أقوال الرسول محمد وأفعاله وأحواله. أو هو: كل ما أضيف إلى النبي محمد .

ثانياً : محطات المنهج العدائي لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للسنة النبوية .

- أدرك المستشرقون الموقع المتقدم الذي تتبوأه السنة النبوية في الدين الإسلامي، والمنزلة العالية الرفيعة التي تحتلها في قلوب المسلمين؛ فعمدوا إلى الطعن في حجيتها، والتشكيك في ثبوتها، وإثارة الشبهات حولها، وإلباسها فِرْيات من نسج خيالهم المُفرِط في التعصب؛ وذلك في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى تدميره والقضاء عليه؛ من خلال القضاء على مصدره الثاني، مثلما سعوا جاهدين إلى القضاء على مصدره الأول (القرآن الكريم).
- وقد أكَّد هذا التوجه لديهم كثيرون من متعصِّبيهم؛ وعلى رأسهم المستشرق جب (ت١٩٧١م)؛ الذي يقول بهذا الخصوص: " إنَّ الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مِمّا هو مبني على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لمْ يَبْقَ من الإسلام شيء، وصار شَبَهَ صبيرة طومسون" [وطومسون هذا رجل أمريكي جاء إلى لبنان، فقدمت له صبيرة، فحاول تنقيتها من البذر، فلما نقّاها من كل بذورها لم يبق في يده شيء منها].
- بيد إنَّ المستشرقين القدامى لم يفردوا السنة النبوية بدراسات مستقلة؛ وإنّما جاءَت دراستهم لها ضمن دراستهم للإسلام عموماً، وأمّا تركيزهم الحقيقي فكان منصبّاً على دراسة القرآن الكريم، والعقيدة، والسيرة، والتاريخ.
- واستمر الأمر على هذا المنوال إلى نهاية (القرن السابع عشر الميلادي) تقريباً، ثمَّ تغيَّر؛ وذلك حينما أقدم المستشرق الفرنسي المدعو هربلو (ت: ١٦٩٥م)- وهو صاحب المكتبة الشرقية التي هي دائرة معارف عن الشرق، نشرت عام ١٧٣٨م – على إفراد السنة النبوية بدراسة خاصّة بها وحدها؛ جعلها في بحث مستقل، وتحت عنوان: (حديث عن أشياء قالها الرسول الزائف وقد نقل من فم إلى فم ومن شخص إلى شخص آخر).

وقد حوى ذلك البحث مغالطات كثيرة، وفِريات كبيرة؛ وخلاصة ذلك: -

- ✓ أنَّه تضمَّن الطعن في شخص الرسول محمد ؛ باتهامه بالكذب، ووصفه بالألقاب المشينة، كما تضمَّن أيضاً التشكيك في صحة رسالته،والزعم بأنَّه استقى الإسلام من التلمود ومن اليهود الذين أسلموا.
- ✓ أنَّه تضمَّن الطعن في الحديث النبوي الشريف، والتشكيك في صحته، ووصفه بأنَّه مجرد خبر تاريخي غير موثوق، والزعم بأنَّ الزهري هو أول من جمعه - مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث ومرحلة تدوينها- والزعم بأنَّ جملة الأحاديث (المذكورة في: الكتب الستة ، والموطأ، والدارمي، والدارقطني، والبيهقي) مأخوذة إلى حد كبير من التلمود.

- ومنذ (القرن الثامن عشر الميلادي) بدأ المستشرقون يخصصون للسنة النبوية حقلاً دراسياً مستقلاً من بين حقول الدراسات الاستشراقية المتعددة.
- وفي أواخر (القرن التاسع عشر الميلادي) أطل على العالم ثلاثة من أشهر المستشرقين المهتمين بدراسة تاريخ السنة النبوية في ذلك الوقت – وهم: سْبرِنجِر (ت١٨٩٣م)، وميورت (ت١٩٠٥م)، وكايتاني (١٩٢٦م) – معلنين اعتقادهم الشك في صحة الأحاديث النبوية، وسعيهم للكشف عمّا أسموه :(المادة الأصلية للحديث).
- وقد أفاد من هؤلاء الثلاثة المستشرق المجري المتعصب جولدزيهر (ت: ١٩٢١م)؛ الذي أعلن - عقب دراساته التي أجراها في حقل السنة النبوية - توصله إلى فكرة تطور الأسانيد والمتون في الفكر الإسلامي . وزعم أنَّ السنة النبوية والحديث النبوي كيانان مختلفان وليسا بمعنى واحد؛ فالسنة – عنده – هي: العادات المأثورة القديمة الموروثة لدى المسلمين، وأمَّا الحديث النبوي فهو – عنده – الشكل الذي وصلت به تلك السنة إلى الأجيال.
- وقد أدى جولد زيهر دوراً بالغ الأهمية في التأثير على سير الدراسات الاستشراقية في حقل السنة النبوية؛ بل لقد صارت نتائج دراساته للسنة النبوية - بما اشتملت عليه من فِرْيات وأكاذيب - دستورا للمستشرقين الذين أتوا بعده؛ حيث لم تُنْتَقد آراؤه إلا من قِبَل قلة منهم [مثل: المستشرق هوروفيتس (ت١٩٣١م)، والمستشرق فيوك (ت١٩٣٩م]، وأمَّا الأكثرية الساحقة منهم [وعلى رأسهم: المستشرق فنسنك (ت١٩٣٩م)، والمستشرق نيكولسون (ت: ١٩٤٥م)، والمستشرق جب (ت١٩٧١م)] فقد أيدوه ودعموا آراءَه وفِرْياته على السنة النبوية المطهرة.
- ثم جاء المستشرق الألماني جوزيف شاخت (ت: ١٩٦٩م)- وهو من أبرز المستشرقين الذين هاجموا السنة النبوية- فطعن في أسانيد الأحاديث النبوية، وزعم أنَّ الجزء الأكبر منها مُخْتَلَق من قِبَل الفقهاء ورجال الفِرَق الإسلامية وهكذا؛ لطالما تعرضت السنة النبوية عبر العصور لمطاعن المستشرقين وفِرْياتهم الكثيرة عليها ، وقد تركَّزَ ذلك في الجوانب الآتية: -

➢ الجانب الأول: شخصية الرسول محمد

➢ الجانب الثاني: رسالة الرسول محمد

➢ الجانب الثالث: متن الحديث النبوي؛ حيث شكك المستشرقون في صحته، وبرَّروا ذلك الشك بما يأتي – وهذا على سبيل المثال لا الحصر - : -

١. ما زعموه من أنَّ الأحاديث النبوية لم تُدَوَّن في عهد الرسول، وإنّما نقلت مشافهة؛ مِمّا يُضعف – برأيهم - الثقة في صحتها.
٢. ما زعموه من تغلغل الوضع في الأحاديث النبوية.
٣. ما زعموه من قيام فقهاء الأمة الإسلامية بتلفيق الأحاديث النبوية لدعم آرائهم الفقهية .

➢ الجانب الرابع: سند الحديث النبوي المشتمل على رواته؛ حيث شكك المستشرقون في صحته، وبرَّروا ذلك الشك بما يأتي – وهذا على سبيل المثال لا الحصر - : -

١. ما زعموه من قيام الفقهاء ورجال الفِرَق الإسلامية باختلاق أسانيد قوية لأحاديث نبوية معينة تدعم آراءَهم.
٢. ما ألصقوه ببعض الرواة الثقات من صفات مشينة؛ تورث الشك في مصداقيتهم.

- وستأتي مناقشة بعض هذه الفِرْيات (بما يسمح به الوقت المتاح) في المحاضرات اللاحقة بإذن الله سبحانه.

المحاضرة الحادية عشرة

عنوان المحاضرة الحادية عشرة وعناصرها

المستشرقون والسنة النبوية - الجزء الثاني

أولاً : مُسَلَّمات تتعلق بالسنة النبوية

ثانياً : المستشرق كولسون وآراؤه في السنة النبوية

أولاً : مُسَلَّمات تتعلق بالسنة النبوية

- **السنة النبوية المطهرة:**
  - **هي وحي من الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحي يوحى﴾.**
  - **هي الوحي الثاني، كما صح الحديث بذلك عن الرسول المصطفى ؛ حيث قال: " ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه "، فالمراد بقوله: " ومثله معه " السنة النبوية.**
  - **وقد فُسِّرت الحكمة في قول الله سبحانه: ﴿ويُعَلِّمُهُم الكتاب والحكمة﴾ بالسنة؛ حيث قال الإمام الشافعي: " كل الحكمة في القرآن السنة "، وبهذا صرح عدد من الأئمة سواه.**
  - **وهي تقع في المرتبة الثانية لمصادر التشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم. لكنها في الوقت نفسه وحي مستقل بالبيان، له نفس مكانة القرآن الكريم من حيث وجوب الامتثال لما جاءَت به؛ عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾، وقوله سبحانه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ، وقول الرسول : " لا ألفينَّ أحدَكم قاعداً على أريكته؛ يأتيه الأمر من أمري، يقول: ما وجدنا في كتاب الله أخذناه " .**
  - **وحالها مع القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:**

١. **أنْ تكون موافقة للقرآن الكريم من كل وجه.**
٢. **أنْ تكون بياناً لِما أُريد بالقرآن الكريم وتفسيراً له.**
٣. **أنْ تكون موجِبة لحكم سكت القرآن الكريم عن إيجابه، أو مُحَرِّمة لِما سكت عن تحريمه.**

وهي لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة؛ فلا تعارض القرآن الكريم بوجه ما.

وما كان منها زائداً على القرآن الكريم فهو تشريع مبتدأ من النبي تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته. وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله سبحانه، بل امتثال لِما أمر الله به من طاعة رسوله .

- **الناظر في حال الأمة المحمدية يعلم علم اليقين حفظها لسنة نبيها ، وكمال عنايتها بها؛ ويمكن إيجاز ذلك فيما يأتي: -**

١. **أمر النبي أصحابه بتبليغ سنته؛ فقال: " نَضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي ، فبلَّغَها مثل ما سمعها؛ فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع " ؛ فاستجابوا له وحرصوا على تبليغ سنته.**
٢. **حرص الصحابة على التثبت في قبول السنة؛ حتى إنَّ بعضهم لم يقبل منها إلا ما قام عليه شاهدا عدل.**
٣. **حرص علماء الأمة في سائر عصورها على جمع السنة، والتثبت في قبولها.**
٤. **حرص علماء الأمة في سائر عصورها على التثبت بخصوص أحوال الرواة ونقلة الحديث النبوي.**
٥. **دَوَّنَ علماء الأمة علم الجرح والتعديل؛ لتحصين السنة وحمايتها.**
٦. **وضع علماء الأمة شروطاً دقيقة لمن تقبل روايته، وردوا رواية من لم تتوفر فيه تلك الشروط.**

٧) ألَّف علماء الأمة مؤلفات كثيرة في الثقات وأخرى في الضعفاء؛ لمعرفة أشخاص الإسناد وبالتالي معرفة درجة الحديث (صحة وضعفاً) .

٨) تم تدوين تراجم الرواة، وبحث ما يتعلق بهم من: مبهمات الأسماء ومُخْتَلِفِها، والكنى، والمقدَّم والمؤخر، والأقران، وما إلى ذلك.

- وبذا يُعْلم: أنَّ عناية علماء الأمة الأفذاذ بالسنة النبوية المطهرة (سنداً ومتناً) قد بلغت القمة، وأنَّ اهتمامهم بها قد بلغ أعلى درجاته؛ وأنَّ ذلك كان من أسباب حفظها، وتحصينها من سموم الحاقدين وافك المفترين، ووصولها إلينا نَقيَّةً كما سمعت من رسول الله .
- إنَّ هذا الذي تم ذكره بخصوص السنة النبوية المطهرة ، هو ممّا عرفه المسلمون من أمور دينهم، وتقبله المؤمنون الذين صفت قلوبهم، ولا عبرة بمن تشوَّش فكره فشكّك في ذلك؛ مستشرقاً كان أو متأثراً بالمستشرقين.

ثانياً : المستشرق كولسون وآراؤه في السنة النبوية

❑ **أولاً: ترجمته.**

هو: نويل كولسون [N.Coulson]: -

✓ مستشرق إنجليزي معاصر.

✓ تتلمذ على المستشرق الألماني المشهور جوزيف شاخت (ت: ١٩٦٩م)، المتخصص في الفقه الإسلامي وتاريخه، وأصبح أستاذاً للقوانين الشرقية بجامعة لندن.

✓ يُعَدُّ واحد من أبرز المستشرقين المعاصرين القلائل الذين عُنوا بدراسة الفقه الإسلامي؛ وكتبوا فيه .

✓ دَرَّس الفقه الإسلامي بجامعة لندن، إلى جانب تدريسه للقانون المدني الإنجليزي بها.

✓ زار بعض أقطار العالم الإسلامي، وعمل أستاذاً زائرا بإحدى الجامعات النيجيرية.

✓ له عِدَّة مؤلفات في الفقه الإسلامي؛ من أهمَّها:

١. كتاب: في تاريخ التشريع الإسلامي – تمت ترجمته من قبل محمد أحمد سراج -.
٢. كتاب: في الميراث.

✓ حاول تحديد العلاقة بين الجوانب النظرية (في الفقه الإسلامي) والجوانب العملية التطبيقية فيه، فأَعَدَّ دراسة بهذا الشأن؛ زعم بعدها أنَّ الشريعة الإسلامية ليست عملية ولا قابلة للتطبيق؛ وعزى ذلك إلى ارتباطها بالقرآن الكريم، معتبراً انقطاع الوحي بوفاة الرسول الكريم سبباً في جعلها ثابتة غير قابلة للتغيير وفقاً لمقتضيات الواقع.. وصرَّح في النهاية بأنَّ الإسلام دين مثالي ولكنه غير صالح للتطبيق في العصر الحاضر.

❑ **ثانياً: مفهوم السنة النبوية عنده.**

السنة النبوية كما يفهمها كولسون: هي آراء فقهية متفق عليها بين علماء مذهب فقهي ما؛ ولذلك قال (في كتابه: في تاريخ التشريع الإسلامي): " إنَّ السنة في القرن الثاني الهجري كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة - ويسميها (سنة المدرسة) - فهي مجموع الآراء والأصول المتعارف عليها في كل مذهب والذي يعمل رجال المذهب على عرضها ونصرتها ".

دحض هذا المفهوم :

✓ إنَّ فهم كولسون هذا للسنة النبوية فهم مخالف لواقع الأمر، وهو فهم مغرض؛ القصد منه تضليل أبناء الأمة الإسلامية، وتشويش فكرهم، وتشكيكهم في المصدر الثاني للتشريع الإسلامي!

✓ ويكفي في دحض هذا الفهم وإبطاله، الاطلاع على حقيقة مفهوم السنة والحديث وِفقاً لما تعنيه في اصطلاحات العلماء المسلمين المعتمدين في هذا المجال؛ وقد سبق تفصيل ذلك وتوضيحه بما يكفي لكشف الحقيقة للعقل التائه وإزالة الغمة عن الفهم القاصر أو المشوش. [يُنْظَر: المحاضرة العاشرة: الشرائح:٤-٧].

❑ **ثالثاً: زعمه أنَّ الإمام الشافعي هو من جعل السنة المطهرة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وأنَّه ثبَّت ذلك في كتابه الأصولي (الرسالة).**

وهو بهذا الخصوص؛ يقول (في كتابه: في تاريخ التشريع الإسلامي):

" إنَّ اعتراف الشافعي بالسنة مصدراً مكملاً للقرآن في التعرف على الإرادة الإلهية هو أهم إسهام قدمه هذا الفقيه للتشريع الإسلامي..

وتمثل السنة باعتبارها مسلك محمدالموحى إليه من الله المصدر الثاني للفقه في منهج الشافعي، وكانت تستند أساساً في المدارس الباكرة إلى المرويات الخاصة بمدرسة معينة.

وقد تطلع الشافعي بإحلال مفهوم السنة النابعة من معين واحد محل الروايات المتداولة في الأمصار - المختلفة فيما بينها باختلاف منشئها - إلى اقتلاع سبب الخلاف بين المراكز الفقهية، وبثِّ الوحدة في النظر التشريعي.

وباختصار؛ فإنَّ الشافعي يذهب إلى أنَّ هناك لوناً واحداً من المرويات، هو الذي يصح أنْ يكون إسلامياً أصيلاً؛ وهو في هذا لم يكن يقدم فكرة جديدة من كل جوانبها، فقد كان هناك اتجاه متزايد لدى المدارس الفقهية الباكرة عموماً إلى ادِّعاء وجود أصل لمروياتها في مسلك النبي ، وذلك بإرجاع نظرها الفقهي إليه.

وقد استغل الشافعي هذا الاتجاه نفسه ليدعمه أصولياً ببيان كون السنة وحياً إلهياً، وليقرر فيما يتعلق بالشكل: أنَّ سنة النبي لا تثبت بوجه صحيح، ولا تتحقق إلا بحديث مروي عنه ".

دحض هذا الزعم:

- ✓ **إنَّ زعم كولسون هذا يدل على جهله بإجماع أئمة الفقه وعلماء الأصول، واتفاقهم على أنَّ: السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، أو إنكاره لذلك الإجماع!**
- ✓ **وقد أورد المفكر الإسلامي (محمد سليم العوا) زعم كولسون هذا، ثم عقَّب عليه بقوله – فيما نقله عنه العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية -: -**
- ✓ **" إنَّ من الغني عن البيان أنَّ أحداً لا ينكر فضل الشافعي على علم أصول الفقه، ولكن الفضل لا يزيد على كونه (عبقرية الصياغة والتنظيم).**
- ✓ **فالشافعي لم يخترع أصولاً من عنده، ولم يرفع دليلاً شرعياً إلى مرتبة الحجية لم تكن له قبله، وإنّما جَمَعَ بما أتيح له من: سعة المعرفة، ودقة التتبع، وتنوع الثقافة الفقهية الناتجة عن لقاء فقهاء الأمصار والسماع منهم ومناظرتهم، وبظروف تكوينه العلمي والفكري بوجه عام؛ جَمَعَ (النظرية الإسلامية في استنباط الأحكام الشرعية) في سياقٍ واحد؛ وعرضها عرضاً جميلاً قوياً مقنعاً؛ جعل العلماءَ بعده ينسبون إليه الفضل في وضع علم الأصول؛ لا لأنَّه موجده من العدم أو مخترعه من الوهم، وإنّما باعتباره أوّل من نَسَّقه ورتَّبه وبَوَّبَه.**
- ✓ **والمُغالاة في دور الشافعي عند كولسون – ومن قبله عند جولد زيهر، وشاخت – يترتب عليها إنكار وجود وحدة أصولٍ للاستنباط مُسَلَّمة بين الفقهاء قبله، ولو صحَّ هذا (وهذا غير صحيح)؛ لترتب عليه استحالة تفاهم هؤلاء الفقهاء وتناظرهم وتبادلهم الرأيَ في أكثر من موطن. وكل هذا كان واقعاً، وهو مدوّن في كتب الفقه والتفسير والتاريخ وغيرها، وهو يشهد، شهادةً قاطعة أنَّ هؤلاء الفقهاء عرفوا الأصول واجتهدوا على أساسها، واختلفوا في فهم نصوصها أو أساليب أعمالها، لكنهم لم يغفلوا عنها، ولم يجهلوا وجودها ".**
- ✓ **إذَنْ؛ زعم كولسون هذا باطل ولا أساس له من الصحة؛ وإنّما هو محاولة منه مغرضة؛ للإساءَة إلى السنة النبوية، وتشويش فهم المسلمين لها، وتشكيكهم بنقائها وسلامتها من التحريف.**

المحاضرة الثانية عشرة

عنوان المحاضرة الثانية عشرة وعناصرها

المستشرقون والسنة النبوية - الجزء الثالث

أولاً : ترجمة المستشرق (تويِنْبي)

ثانياً : ترجمة المستشرق (جِب)

ثالثاً : شُبْهَةُ (توينبي) وفِرْيَةُ (جِب)؛ بخصوص السنة النبوية

أولاً: ترجمة المستشرق (تويِنْبي)

هو: آرنولد جوزيف توينبي (١٨٨٩-١٩٧٥م): -

- ✓ **مستشرق، ومؤرخ إنجليزي مشهور.**
- ✓ **درس بجامعة أكسفورد، وبمدرسة الآثار البريطانية بأثينا في اليونان.**
- ✓ **عمل بجامعة لندن، ثم أصبح أستاذا للتاريخ العالمي بها (عام: ١٩٢٥م).**
- ✓ **عُرِفَ بجهوده الكبيرة في حقلي (علم الاجتماع) و(علم التاريخ)، حيث كتب فيهما عدداً من الكتب؛ فمن أهمِّها: -**

١. **كتاب: القومية والحرب.**
٢. **كتاب: العالم والغرب.**
٣. **كتاب: محاكمة الحضارة.**
٤. **كتاب: دراسة التاريخ.**

- ✓ **وكتابه الأخير هذا (دراسة التاريخ) هو أشهر كتبه وأضخمها، ويقع في (١٢) مجلداً - تم طبعها ما بين عامي (١٩٣٤م) و (١٩٦١م) - تحدث فيها عن الحضارات؛ فقسَّم التاريخ العالمي إلى (٢٦) حضارة، ثم تقصّى نُشوءَ تلك الحضارات وانحدارها وسقوطها، وأعلن أنَّ بقاء الحضارة الغربية متوقف على إعادة بعث الروح النَّصرانية. وقد اختصر عمله الضخم هذا في مجلدين بيعت نُسَخُهُمَا بأعداد هائلةٍ في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.**

ثانياً : ترجمة المستشرق (جِب)

هو: هاملتون جِب [Hamilton Gibb]: - (١٨٩٥-١٩٧١م): -

- ✓ **مستشرق إنجليزي.**
- ✓ **دَرَسَ اللغات السّامِيَّة بجامعة أدنبرة.**
- ✓ **عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (عام:١٩٢١م) ، ثم أصبح أستاذً للغة العربية بها، ثم انتخب لشغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد.**
- ✓ **انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية (عام :١٩٥٥م)؛ فعمل أستاذاً للغة العربية بجامعة هارفارد، ثم شغل منصب مدير (مركز هارفارد لدراسات الشرق الأوسط) بالجامعة نفسِها، ثم تقاعد من العمل بتلك الجامعة (عام:١٩٦٤م)، وعاد إلى أكسفورد.**
- ✓ **تنوعت اهتماماته البحثية؛ لتشمل المجالات الثلاثة الآتية: -**

١. **مجال (تاريخ الأدب العربي)؛ ومِنْ نَتاجه فيه: -**

كُتَيِّب: الأدب العربي – وهو كُتَيِّب صغير سطحي -.

٢. **مجال (التاريخ الإسلامي)؛ ومِنْ نَتاجه فيه: -**

أ- **كتاب: فتوح العرب في آسيا الوسطى.**

ب- كتاب: تفسير للتاريخ الإسلامي.
ت- كتاب: الأهمية الاجتماعية للشعوبية.
٣. مجال (الدين الإسلامي)؛ ومِنْ نَتاجه فيه: -
أ- كتاب: المُحَمَّدِيَّة - وقد أعاد نشره بعنوان: الإسلام -.
ب- كتاب: الاتجاهات الحديثة في الإسلام.

- ✓ عمل (في مرحلة من حياته) لدى كل من الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية بصفة رسمية؛ كمستشار لهما في تخطيط سياستهما الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.
- ✓ قال فيه عبد الرحمن بدوي (في: موسوعة المستشرقين):" وقد نال في حياته كثيراً من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً. والواقع أنَّ (هاملتون جب) كانت شهرته فوق قيمته العلمية، وإنتاجه أدنى كثيراً من الشهرة التي حظي بها؛ لأسباب كلها بعيدة عن العلم ... طابع كل ما كتبه (جب) العموم والسطحية ".
- ✓ أصيب (عام:١٩٦٤م) بمرض (الفالج) إصابة بالغة؛ ظلَّت آثارها بادية عليه حتى وفاته – وقيل: إنَّه شفي منها! وعاد لمزاولة عمله، إلى أنْ توفي بأكسفورد -.

ثالثاً : شُبْهَةُ (تويني) وفرْيَةُ (جِب)؛ بخصوص السنة النبوية

- ❑ العرض:
  - طعن كل من المستشرق (تويني) و المستشرق (جِب) في السنة النبوية؛ فأثار الأول شبهة حولها، وألبسها الثاني فِرْية نسجها خياله المتعصب.
  - أمَّا شُبْهَةُ تويني؛ فتتلخص في: زعمه اشتمال السنة النبوية (المعمول بها من قبل العلماء المسلمين) على أحاديث موضوعة.

حيث ادّعى تويني - وفْقاً لِما ذكره العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية) ونسبه إليه - استعانة علماء المسلمين بأحاديث موضوعة (ضمن ما استعانوا به من أحاديث نبوية)؛ في إطار سعيهم الجاد لإضفاء الشرعية على تصرفات الخلفاء والحكام المسلمين في شتى العصور.

  - وأمّا فِرْيَةُ جِب؛ فتتلخص في: زعمه قيام الإسلام على الأحاديث الكاذبة!

وقد صَرَّح جِب بذلك، في معرض افترائه على الإسلام عموماً والسنة النبوية المطهرة خصوصاً؛ فقال - وفْقاً لِما نقله عنه أنور زناتي (وأورده في كتابه: معجم افتراءات الغرب على الإسلام) - : " إنَّ الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مِمّا هو مبني على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لمْ يَبْقَ من الإسلام شيء، وصار شَبَهَ صبيرة طومسون" [وطومسون هذا رجل أمريكي جاء إلى لبنان، فقدمت له صبيرة، فحاول تنقيتها من البذر، فلما نقّاها من كل بذورها لم يبق في يده شيء منها].

- ❑ الرَّد:
  - إنَّ الدارس المُتفحِّص لشبهة (تويني) وفرية (جِب) يتبين له أنَّهما من جنس واحد، بل وجهان لعملة واحدة؛ فالأحاديث الموضوعة هي الأحاديث الكاذبة. وإذا كان (تويني) يزعم حدوث الوضع في الأحاديث النبوية، فإنَّ (جِب) يزعم حدوثه كذلك وبكثرة؛ فزعمهما إذَنْ واحد.
  - إنَّ زعمهما هذا لا يستند إلى دليل علمي أو تاريخي، وإنَّما هو سرد مغلوط ومشبوه؛ بل هو لغط وافتراء ينسجم مع (المنهج العدائي لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للسنة النبوية)، الذي يأتي في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى القضاء عليه بالقضاء على مصدره الثاني (السنة النبوية)؛ من خلال التشكيك فيها. وإنَّ التاريخ والشواهد الكثيرة والأدلة العلمية الواضحة التي لا شبهة فيها ولا غبار عليها؛ لطالما دفعت

هذا اللغط والافتراء، وأزهقت هذا التشكيك الباطل. ومن هنا كان لا بد من ذِكْرِ بعض الأمور وتوضيحها؛ فمنها: -

أولاً: ذِكْر الأسباب الحقيقية لوضع الأحاديث.
ثانياً: ذِكْر بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لحماية السنة من تسرب الوضع إليها.
ثالثاً: ذِكْر بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لنقد متن الحديث وقبوله أو ردِّه.
وفيما يأتي إيجاز هذه الأمور: -
أولاً: ذِكْرُ الأسباب الحقيقية لوضع الأحاديث؛ وهي بإيجاز: -
١ – الخلافات السياسية: وذلك من أجل أنْ يثبت كل فريق أحقيته بالخلافة وأفضليته بالاتباع. ومِمّن فعل هذا -على سبيل المثال لا الحصر- (الرافضة)، وبعض متعصبي الأمويين؛ فقد كان (الرافضة) من أكثر الذين وضعوا الأحاديث؛ حتى سئل الإمام مالك عنهم، فقال: "لا تكلموهم، ولا تروووا عنهم؛ فإنهم يكذبون" ، وقال الشافعي: "ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة". وقال عنهم الخليلي (في الإرشاد): "وضعت الرافضة في فضائل علي وأهل بيته ثلاثمائة ألف حديث"، ومن أشهر الأحاديث الموضوعة حديث الوصية في غدير خم، والذي يروي فيه الرافضة أنَّ الرسول أخذ بيد علي بعد رجوعه من حجة الوداع وقال للصحابة: "هذا وصيي وأخي والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا" وقد كذّب أهل السنة هذا الحديث وعدّوه في الموضوعات.
وبالمقابل ظهرت بعض الأحاديث الموضوعة من بعض المتعصبين من الأمويين مثل: حديث "الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية" وحديث "أنت مني يا معاوية وأنا منك".
٢. الزندقة: وقد ظهرت بعد أنْ فُتِحت البلاد وتوسعت سيطرة الخلافة الإسلامية، وصارت للإسلام شوكة ومنعة؛ حيث لم يستطع أعداؤه النيل منه علناً، فاتخذوا سبيلاً آخر هو الدخول فيه وتمزيق صفه من الداخل؛ فتستر هؤلاء بالتصوف والزهد والتشيع وغيرها، ووضعوا آلاف الأحاديث للطعن في الدين، ومن هذه الأحاديث الموضوعة: حديث "ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة" وحديث "خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره". وقد لاحق بعض الخلفاء العباسيين هؤلاء الزنادقة وقتلوهم وحبسوهم، حتى ضعفت شوكتهم وتم القضاء عليهم نهائيا.
٣. القصص والوعظ: حيث ظهرت حركة للقصاص الذين يجتمع حولهم الناس ليسمعوا رواياتهم وقصصهم ووعظهم، فكان هؤلاء لا يتورعون عن الكذب ووضع الأحاديث في سبيل جذب الناس إليهم، ليكسبوا بذلك جاهًا ومكانة؛ ومن هذه الأحاديث: حديث "من قال لا إله إلا الله خلق الله له من كل كلمة طيرًا منقاره من ذهب وريشه من مرجان".
٤. الخلافات الفقهية والمذهبية: وهذه الخلافات أدت إلى أنْ تتعصب كل جماعة لمذهبهم وإمامهم، فوضعوا الأحاديث التي تساندهم، ومن ذلك القول المكذوب: "من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له".
٥. الجهل بالدين مع الرغبة في الخير: حيث قامت طائفة من العبّاد والزهاد بوضع الأحاديث ليُرجعوا الناس إلى دين الله وكتابه، ظانّين أنَّ ذلك من العبادات المستحبة والأعمال الفاضلة، وقالوا إننا لم نكذب على رسول الله وإنَّما نكذب لرسول الله .
٦. التقرب إلى الأمراء والملوك: وذلك بوضع الأحاديث التي تناسب أوضاعهم وأحوالهم، وأهواءهم ورغباتهم، ومن ذلك ما فعله غياث بن إبراهيم الذي دخل على المهدي وهو يلعب بالحَمَام فروى له الحديث المشهور "لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر" وزاد غياث "أو جناح" إرضاء للمهدي الذي منحه عشرة آلاف درهم، ثم قال بعد أنْ ولَّى: "أشهد أنَّ قفاك قفا كذاب على رسول الله وأمر بذبح الحمام" .
ثانياً: ذِكْرُ بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لحماية السنة من تسرب الوضع إليها:
إنَّ علماء الأمة الأفذاذ لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الظاهرة الخطيرة التي كانت تهدد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بل بذلوا جهودًا عظيمة لتنقية السنة من الشوائب والزيادات والأكاذيب، وتحصينها من سموم الحاقدين وإفك المفترين؛ فوضعوا لهم قواعد وأسساً ينهجون عليها، وهي كثيرة؛ فمنها: -

١. إسناد الحديث: لم تظهر متابعة الإسناد إلا بعد ظهور الفتنة وانقسام المسلمين، وبعد ظهور اليهودي (عبد الله بن سبأ) الذي دعا إلى تأليه علي - رضي الله عنه -؛ فحينها لم يأخذ الصحابة الذين عاشوا إلى ذلك الوقت وكذلك التابعون من الأحاديث إلا ما عرف سنده وهذه كانت الخطوة الأولى لتصفية الحديث من غيره، حتى قال ابن المبارك: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" .

٢. التأكد والتوثق من الأحاديث وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة الحديث؛ فقد صار هؤلاء مرجعاً للناس عند سماعهم حديثاً عن النبي ، فإذا أقروه أخذوا به وإنْ لم يقروه ضربوا به عرض الحائط. وقد سَخَّر كثير من الناس أنفسهم لخدمة الحديث وذلك بالسفر من بلد إلى آخر للتحقق من صحة الأحاديث المروية عن النبي ، ومن بين هؤلاء الإمام البخاري ومسلم وغيرهما - رضي الله عنهم جميعاً -؛ لما قاموا به من عمل جليل سيبقى ذخراً للأمة إلى يوم الدين.

٣. نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب؛ وهذا الأصل كان من أهم الأصول التي اتبعوها في تنقية الأحاديث، حيث لم يحرجهم شيء في أنْ يقولوا عن الرواة ما فيهم من عيب أو كذب، وقد قيل ليحيى بن سعيد القطان: "أما تخشى أنْ يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءَك عند الله يوم القيامة؟

فقال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إليّ من أنْ يكون خصمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لِمَ لَمْ تَذُبَّ الكذب عن حديثي" .

<u>ثالثاً: ذكْرُ بعض القواعد التي وضعها علماء الحديث لنقد متن الحديث وقبوله أو ردّه: -</u>

لو قرأ من زعموا الوضع في الحديث النبوي ما قرَّره علماء الحديث من قواعد لنقد متن الحديث وقبوله أو ردّه؛ لَما وسعهم إلا الإقرار بسلامة الحديث من الوضع، ولكن هيهات للعدو الحاقد أنْ يقر بالحق الذي هو كالشمس في رابعة النهار! وهذه القواعد كثيرة - ذكرها علاّمة الحديث مصطفى السباعي؛ في كتابه: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي - ؛ فمنها: -

١. ألاّ يكون ركيك اللفظ، بحيث لا يقوله بليغ أو فصيح.
٢. ألاّ يكون مخالفاً لِبَدَهِيات العقول، بحيث لا يمكن تأويله.
٣. ألا يخالف القواعد العامة في الحِكَم والأخلاق.
٤. ألا يكون مخالفًا للحس والمشاهدة.
٥. ألا يخالف البَدَهِي في الطب والحكمة.
٦. ألا يكون داعية إلى رذيلة تتبرأ منها الشرائع.
٧. ألا يخالف المعقول في أصول العقيدة من صفات الله ورسله.
٨. ألا يكون مخالفًا لسنة الله في الكون والإنسان.
٩. ألا يشتمل على سخافات يصان عنها العقلاء.
١٠. ألا يخالف القرآن أو محكم السنة أو المجمع عليه أو المعلوم من الدين بالضرورة، بحيث لا يحتمل التأويل.
١١. ألا يكون مخالفًا للحقائق التاريخية المعروفة عن عصر النبي .
١٢. ألا يوافق مذهب الراوي الداعية إلى مذهبه.
١٣. ألا يخبر عن أمر وقع بمشهد عظيم ثم ينفرد راو واحد بروايته.
١٤. ألا يكون ناشئًا عن باعث نفسيٍ، حمل الراوي على روايته.
١٥. ألا يشتمل على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير، والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير".

إذَنْ؛ فإذا كان هناك من حاول الوضع في الأحاديث النبوية؛ فقال أقوالاً ونسبها – زوراً - إلى النبي لتحقيق هدف رسمه لنفسه، أو لصالح مشروع تبناه، أو لتأييد فكر حمله، أو لأي سبب كان؛ فإنَّ هذا لا يعني حصول الوضع في الأحاديث النبوية المعمول بها شرعاً، ولا دخول الأحاديث الموضوعة إلى السنة النبوية المطهرة.

وفي هذا الإيجاز بيان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكاف للذين اتخذوا من وضع الأحاديث مطية يمتطون بها على السنة كلها، ويشككون فيها من كل الجهات والأطراف، ولكنهم خابوا وخسروا، وذهبت جهودهم وأقاويلهم مع رياح الحق التي أزهقتهم وأثبتت السنة الصحيحة.

المحاضرة الثالثة عشرة

عنوان المحاضرة الثالثة عشرة وعناصرها

المستشرقون والدراسات الفقهية: (شاخت) نموذجاً

أولاً : تعريف الفقه، وذِكْرُ أحكامه ونشأتِه وتَطَوُّرِه

ثانياً : ترجمة المستشرق (شاخت)

ثالثاً : أبرز فريات المستشرق (شاخت) بخصوص الفقه الإسلامي

أولاً : تعريف الفقه، وذكْرُ أحكامه ونشأته وتَطَوُّرِه

- ❑ تعريفه (لغةً):
- ✓ هو الفطْنَةُ والفَهْمُ؛ أو: العلم بالشيء وفهمه.
- ✓ وقد (فَقِهَ) الرَّجُلُ - بكسر القاف - [فِقْهاً] و[فَقَهاً]؛ أي: صار فقيهاً.
- ✓ و(تَفَقَّهَ) الرَّجُلُ: إذا تعاطى الفقه.
- ✓ هذا أصله، ثم خُصَّ به علم الشريعة.
- ❑ تعريفه (شرعاً):
- ✓ هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.
- ✓ ويسمى العالم بتلك الأحكام: (فَقِيهٌ).
- ❑ أحكامه:
- ✓ أحكام الفقه (أو: الأحكام الشرعية): هي الأحكام التي تُنظم علاقة الإنسان المكلَّف مع غيره وتصف أقواله وأفعاله، وتعطي كل قول أو فعل يصدر عنه حكماً شرعياً؛ وهي نوعان:-

١. أحكام تكليفية؛ وهي: الوجوب، والندب، والإباحة، والكراهة، والحرمة.
٢. أحكام وضعية؛ وهي: الصحة، والبطلان، والفساد.

- ✓ ولا يتصور قول يقوله المكلَّف أو فعل يفعله إلا وله حكم شرعيٌّ؛ سواء كان حكماً تكليفياً أو حكماً وضعياً؛ فقد جاءت أحكام الفقه شاملةً لكل نواحي الحياة، فهي تشمل: -

أ- أحكام العبادات: وهي التي تنظم علاقة الإنسان بربه؛ كالصلاة والصوم والزكاة والحج.

ب- أحكام المعاملات: وهي التي تنظم علاقة الإنسان مع غيره في الدولة الإسلامية، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول؛ وتُقسم إلى: أحكام الأحوال الشخصية، والأحكام المدنية، والأحكام الجنائية، وأحكام المُرافعات، والأحكام الدستورية، والأحكام الدولية.

❑ نشأته:

نشأ الفقه في عصر النبي ؛حيث كان يجيب الصحابة عمّا يعرض لهم من أسئلة مستندًا إلى الوحي.

❑ تطوره:

أهم عصور تطور الفقه هي: -

➢ عصر الصحابة:

تصدى الصحابة لإفتاء الناس وكان منهم المكثر ومنهم المقل. وكانوا يعتمدون في الإجابة عما يُسألون عنه على الاجتهاد المعتمد على القرآن والسنة.

➢ عصر التابعين:

استمر العلماء من التابعين في الإجابة عن أسئلة الناس. واتسعت دائرة الاجتهاد نظرًا لاتساع الدولة الإسلامية ودخول عدد كبير من الناس في الدين في هذا العصر؛ ممن لهم عادات وتقاليد وسلوك وأنماط حياة تختلف تختلف عن الصحابة، مما اضطر العلماء لبذل مزيد من الجهد للإجابة عن أسئلة الناس. ولم تستجد مسألة إلا وبينوا حكمها في الدين. وقد ساعدهم على ذلك أنَّ أحكام الدين جاءت عامة نصت على مسائل كلية مجملة.

➢ عصر الأئمة الأربعة:

تطور الفقه في هذا العصر وازدهر وانتشر على أيدي الأئمة الأربعة؛ ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة، فمنها: -

الأول: تشجيع الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء وعدم تدخلهم في حرية المجتهدين أو تأثيرهم عليهم.

الثاني: اتساع الدولة الإسلامية وكثرة عدد الداخلين في الدين؛ فكان الواجب على الفقهاء الاجتهاد للإجابة عن كل ما يُسألون عنه.

الثالث: دخول عدد كبير من غير العرب في الإسلام، ممن ينتسبون إلى أمم وثقافات عريقة، واتجاههم إلى دراسة (الفقة)؛ مما جعلهم يبدعون في هذا الجانب.

الرابع: احترام الأمة للعلماء وجعلها إيّاهم في المقدمة! شجع الناس على التوجه لطلب العلم؛ فأبدع عدد منهم في ذلك.

❑ حَرِيٌّ بالذكر؛ أنَّ الأئمة الأربعة هم: -

١. أبو حنيفة؛ النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠ – ١٥٠هـ).
٢. مالك بن أنس بن مالك الأصبحي (٩٣ -١٧٩هـ).
٣. محمد بن إدريس الشافعي الهاشمي المطلبي (١٥٠ – ٢٠٤هـ).
٤. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (١٦٤ – ٢٤١هـ).

ثانياً : ترجمة المستشرق (شاخت)

هو: جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م): -

✓ مستشرق ألماني مشهور.
✓ دَرَسَ اللاهوت واللغات الشرقية بجامعتي (ليبتسك) و(برسلاو) الألمانيتين.
✓ حصل من جامعة (برسلاو) على شهادة الدكتوراه (عام: ١٩٢٣م).
✓ عُيِّنَ مدرساً بجامعة (فرايبورج) الألمانية (عام: ١٩٢٥م).
✓ أتقن - إضافة إلى لغته الألمانية - عدة لغات أوروبية؛ منها: اللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية، واللغة اليونانية. كما أتقن اللغات السَّامِيَّة.
✓ زار مصر وعمل فيها؛ حيث انتدب (عام: ١٩٣٤م) لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً)، واستمر أستاذا بها حتى (عام: ١٩٣٩م).

- ✓ تخصص في الفقه الإسلامي وتاريخه؛ وعُرِفَ بجهوده الكبيرة في هذا المجال؛ حيث: -

١. حقق عدداً من النصوص الفقهية المخطوطة ونشرها؛ فكان من أهمّها: -

أ- كتاب: (الحيل والمخارج ؛ للخصَّاف).

ب- كتاب: (الحيل في الفقه ؛ للقزويني).

٢. كتب عدداً من الكتب والمقالات الفقهية؛ فكان من أهمّها: -

أ- كتاب: مدخل إلى الفقه الإسلامي.

ب- مقال: الشريعة والقانون في مصر الحديثة.

ت- مقال: التطور الحديث للشريعة الإسلامية في مصر.

٣. دَرَسَ (المذهب الشافعي) من خلال كتاب (الرسالة؛ للإمام الشافعي)، ونشر دراسته تلك في كتابه الرئيس (بداية الفقه الإسلامي)، وأتبعه بكتيب صغير سمَّاه (مخطط تاريخ الفقه الإسلامي).

٤. دَرَسَ كتابي: (الموطأ؛ للإمام مالك) و (الأم؛ للإمام الشافعي)، ثم عمّم نتائج دراسته تلك على كتب الحديث والفقه الأخرى، وجعل ذلك كله في كتاب سمّاه (أصول الشريعة المحمدية) - الذي أصبح أشهر مؤلفاته على الإطلاق -.

- ✓ لم يُخضِع بحوثه الفقهية لقواعد المنهج العلمي التي تقتضي التجرد والبعد عن الهوى؛ بل كان كغيره من المستشرقين المتعصبين: يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها مسبقاً، ونتيجة وصل إليها مقدَّما، ثم يحاول بعد ذلك إثباتها. لكنَّ بعض الباحثين مدحوا بحوثه تلك وادّعوا بعدها عن الآراء الافتراضية التي أولع بها آخرون ممن كتبوا في الفقه الإسلامي؛ من أمثال (جولد زيهر) و(سانتلاّنا) وغيرهما !.

ثالثاً :أبرز فريات المستشرق (شاخت) بخصوص الفقه الإسلامي

- ❑ افترى المستشرق (شاخت) على الفقه الإسلامي فرْيات عظيمة؛ صاغها في نظريته حول (أصول الشريعة الإسلامية)، وقام بشرحها في أشهر كتابين له؛ وهما: (مدخل إلى الفقه الإسلامي) و (أصول الشريعة المحمدية)، وقدَّمها للعالم بلغات أوروبية مختلفة: كاللغة الألمانية، واللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية. وفيما يأتي عرض موجز لتلك النظرية، متبوعاً بالرد عليها وتفنيدها: -
- ❑ عرضها :
  - زعم (شاخت): أنَّ الفقه الإسلامي لم يكن موجوداً في حياة المسلمين الدينية خلال الجزء الأكبر من القرن الأول الهجري؛ بل كان يقع خارج نطاق الدين، ولم يكن المسلمون يبالون به، كما زعم أيضاً عدم صحة الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى النبي
  - فقال بهذا الخصوص - في كتابه: مدخل إلى الفقه الإسلامي -: " في الجزء الأكبر من القرن الأول؛ لم يكن للفقه الإسلامي – بمعناه الاصطلاحي - وجود كما كان في عهد النبي، والقانون[أي: الشريعة الإسلامية] من حيث هي هكذا كانت تقع خارجة عن نطاق الدين (أ.هـ)، وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي روحي على تعامل خاص في السلوك، فقد كانت مسألة القانون تتمثل عملية لا مبالاة بالنسبة للمسلمين ".
  - وقال أيضاً: " من الصعوبة اعتبار حديث ما من الأحاديث الفقهية صحيحاً بالنسبة إلى النبي ".
- ❑ الرَّد عليها:
  - إنَّ الدارس المُتفحِّص لمزاعم (شاخت) هذه يجدها لا تستند إلى دليل علمي أو تاريخي.
  - بل إنَّ مزاعمه تلك محض افتراء، ومجرَّد سرد مغلوط ومشبوه؛ ينسجم تماماً مع (المنهج العدائي لدى المستشرقين المتعصبين في دراستهم للفقه الإسلامي)، الذي يأتي في سياق محاربتهم للإسلام، وسعيهم الحثيث إلى القضاء عليه بالقضاء على جانبه التشريعي (وهو الفقه)؛ من خلال التشكيك في وجوده وصحته.

- إذ بسبب نظريته تلك؛ تمتع (شاخت) باحترام المستشرقين والأكاديميين الغربيين المتعصبين مثله، وحاز على إعجابهم وتقديرهم، وتبوّأ منزلة عالية لديهم، لم يصل إليها من قبل أي مستشرق آخر طرق هذا المجال!

فمن ذلك: ثناء المستشرق (كولسوف) – أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة لندن – على تلك النظرية؛ بقوله: " إنَّ (شاخت) صاغ نظرية عن أصول الشريعة الإسلامية غير قابلة للدحض في إطارها الواسع "، ووصف المستشرق (جب) - الأستاذ بجامعة أكسفورد – كتابه (أصول الشريعة المحمدية)، الذي حوى تلك النظرية؛ بأنَّه: " سيصبح أساساً في المستقبل لكل دراسة عن حضارة الإسلام وشريعته ".

- يقول العاني (في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية):" لم يكن (شاخت) متبعاً للمنهج العلمي في بحوثه... ولا شك أنَّ ادّعاء عدم اكتراث النبي والصحابة والتابعين بالتشريع، ووقوع التشريع خارج نطاق الدين، وعدم صحة حديث واحد من الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى النبي ينتج عنه أهداف كثيرة مقبولة ومطلوبة من قِبَل أعداء الإسلام؛تتمثل في: -

١. [جعل] مطالبة الشعوب الحكام في العودة إلى الشريعة الإسلامية كلاماً فارغاً؛ لأنَّ الشريعة [وِفقاً لزعم شاخت] خارجة عن نطاق الدين.
٢. [جعل] ما يسمى بالفقه الإسلامي ليس هو الفقه الإسلامي المبني على كتاب الله وسنة رسول الله؛ لأنَّه [وِفقاً لزعم شاخت] لا يوجد ما يمكن تسميته سنَّة النبي

وعلى هذا يمكن للمسلمين أنْ يقتبسوا من القوانين الوضعية الغربية ما أرادوا، دون أنْ يشعروا بأدنى ضيق من مخالفتهم لدينهم، وإذا أرادوا أنْ يسموا تلك القوانين بالفقه الإسلامي فلا مانع من ذلك؛ ولهم فيما عمل سلفهم من قبل أسوة حسنة .. وإنَّ نظرية (شاخت) على ما يبدوا هي نظرية (العلمانية)، ولو لم يصرح بذلك؛ وهي إقامة نظام الدولة السياسي بعيداً عن الدين ".

- ثم إنَّ ادّعاءَه (عدم اكتراث النبي والصحابة والتابعين بالتشريع، ووقوع التشريع خارج نطاق الدين)؛ ادِّعاء باطل من وجوه كثيرة؛ فمن أهمِّها: -

١. إنَّه مناقض تماماً لنصوص القرآن الكريم بهذا الشأن؛ فالآيات القرآنية صريحة بوجوب احتكام المسلمين إلى شريعة الله سبحانه في كل أمر من أمورهم، وهي كثيرة؛ فمنها: -

أ- قول الله سبحانه: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

ب- قول الله سبحانه: ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبعها ولا تتَّبع أهواء الذين لا يعلمون﴾.

٢) إنَّه مناقض تماماً لواقع الصحابة وما كانوا عليه من الاتّباع؛ فالدارس المتفحص لأحوالهم يجد أنَّهم: -

أ- كانوا يحكمون بشرع الله تعالى؛ امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ إنَّما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾.

ب- كانوا مستسلمين لأوامر الله تعالى ونواهيه في جميع شؤون حياتهم استسلاماً تاماً؛ امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أنْ يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾.

- إنَّ (شاخت) عند بنائه لنظريته هذه (بما اشتملت عليه من فريات ولغط) لم يرجع إلى القرآن الكريم، ولا فكر تفكيراً عقلياً مستقيما ومنطقياً؛ ولو فعل ذلك لتوصَّل إلى الحقيقة الواضحة التي لا شبهة فيها ولا غبار عليها، والتي أثبتتها الشواهد التاريخية الكثيرة؛ فإنَّ ما ذكره القرآن الكريم أمراً أو نهياً أو استحباباً، وكذا ما بيَّنه الرسول محمد ظل مصدر تشريعات المسلمين منذ بعثة الرسول ، وفي كل العهود التي كان الحكم فيها لشريعة الله سبحانه وتعالى.

- وبخصوص زعمه: عدم صحة الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى النبي

؛فإنَّ هذا ينضوي تحت لواء مُدَّعي الوضع في الأحاديث النبوية؛ وقد تم عرض هذا والرد عليه في المحاضرة السابقة. (يُنْظر: المحاضرة الثانية عشرة؛ الشرائح:٩-٢٢). وفي هذا الإيجاز بيان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

المحاضرة الرابعة عشرة

عنوان المحاضرة الرابعة عشرة وعناصرها

المستشرقون والعلوم والصناعات والاكتشافات عند المسلمين

أولاً : تعريف موجز بعلوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم

ثانياً : دور المستشرقين في نقل علوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم إلى (أوروبا)

ثالثاً : افتراق المستشرقين (بخصوص الاعتراف بفضل المسلمين العلمي على أوروبا) فريقين

أولاً : تعريف موجز بعلوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم

- **تمهيد: نشأة الحضارة الإسلامية وتطورها.**

- **نشأت لدى العرب قديماً حضارة؛ حيث ورد ذكرهم عند مؤرخي الحضارات قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - بأربعة إلى خمسة قرون.**
- **غير أنَّ فجر الحضارة العربية الحقيقية لم يبزغ إلا مع ظهور الإسلام؛ إذ بظهوره بدأت عملية إعادة صياغة للإنسان العربي في معتقداته وأفكاره وجميع أمور حياته، مِنْ قِبَل الرسول محمد ، وِفْقاً لتعاليم القرآن الكريم؛ فتأسَّسَ في (العهد النبوي) صرح حضاري إسلامي متين، تأتي (عقيدة التوحيد) في مقدمة أسسه الكثيرة التي قام عليها، ويليها: طلب العلم، وإتقان العمل، والتحلي بصالح الأخلاق، وممارسة المساواة، وتطبيق العدل، واغتنام الوقت في تحقيق المصلحتين: الخاصة والعامة، ونحو ذلك من الأسس الحضارية، التي ترسخت بقوة في عقل الفرد المسلم وقلبه، وفي ضمير الجماعة المسلمة!**

ثم إنَّ الحضارة الإسلامية التي أُرسِيَت دعائمها في العهد النبوي قد تطورت عبر العصور شيئاً فشيئاً إلى أنْ بلغت القمَّة؛ وفيما يأتي إيجاز ذلك: -

- **أولاً: عصر الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ).**

في هذا العصر اهتم الخلفاء الراشدون الأربعة بفتوحات البلدان؛ لنشر رسالة الإسلام على هدي الرسول .

- **ثانياً: عصر الخلافة الأموية (٤١-١٣٢هـ).**

ركز معظم الخلفاء الأمويين الأربعة عشر اهتمامهم على إرساء معالم الحضارة الإسلامية؛ فازدهرت في عصرهم بعض نواحي العلوم، كما عبروا إلى إسبانيا (الأندلس)، فأنشأوا فيها حضارة إسلامية راسخة لم تزل آثارها قائمة حتى اليوم.

- **ثالثاً: عصر الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ).**

- ✓ **تطورت معالم الحضارة الإسلامية في عصر الخلفاء العباسيين (السبعة والثلاثين) كثيراً، ودخل المجتمع الإسلامي حينذاك عصره الذهبي.**
- ✓ **وكان من أبرز تلك المعالم: تأسيس بيت الحكمة على عهد الخليفة المأمون، كمجمع لكبار المترجمين والمفكرين والعلماء؛ ففيه تم ترجمة الكثير من كتب الفكر والعلوم من (اليونانية) و(الفارسية) و(الهندية) إلى (العربية) - مما أهل المسلمين لاستقبال الفكر الإنساني في أبلغ مصادره – وفيه تم تأليف الكثير من المصنفات في العلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات والعلوم الطبيعية، وغيرها؛ بحيث يمكن القول إنَّ العصر العباسي رفد الحضارة الإسلامية بالعلوم وشتى مجالات المعرفة؛ وهو ما ظهر أثره لاحقاً على الفكر العالمي والإنتاج الغربي.**

- **إنجازات الحضارة الإسلامية في مجالات العلوم والصناعات والاكتشافات:**

- ✓ **بين القرنين (السابع والثالث عشر) الميلاديين، أقام المسلمون حضارة عالمية مزدهرة، جمعت إسبانيا وإفريقيا الشمالية (في الغرب) إلى شعوب العالم القديم من مصر إلى سوريا إلى بلاد ما بين النهرين (في الشرق).**

- ✓ وقد حققت الحضارة الإسلامية في فترة ازدهارها الكثير من الإنجازات في شتى مجالات العلم، والصناعة، والاكتشافات العلمية؛ مثل: الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والفلك، والطب، والعمارة، والجغرافيا، والفلسفة، وغيرها.
- ✓ وقد استفادت (أوروبا) في نهضتها من هذه الإنجازات الإسلامية؛ وفيما يأتي بيان ذلك بإيجاز: -

• في مجال علوم الرياضيات:

- ✓ اخترع (الخوارزمي) - وهو أحد منجمي المأمون – (علم الجبر)، وانتشر هذا العلم بفضله في (أوروبا) والعالم.
- ✓ وأخذت (أوروبا) في الرياضيات عن العرب: (مفهوم الصفر) و (النظام العشري) - الذي دفع بعلم الرياضيات خطوات إلى الأمام – و (الأرقام العربية) - التي هي اليوم أوسع الأرقام انتشارًا في العالم -.

• في مجالي علوم الفيزياء وعلوم الكيمياء:

- ✓ أفاد الأوروبيون في مجال الفيزياء، وخاصَّة في حقل (البصر والبصريات) من مؤلفات (الكندي) و(الحسن بن الهيثم).
- ✓ كما أفادوا في مجال الكيمياء من مؤلفات (جابر بن حيّان).

• في مجال علم الفلك:

- ✓ شهد علم الفلك ظهور (الإسطرلاب العربي) الذي أوجده العلماء المسلمون لتحديد أوقات الفجر والمغرب والصوم، ثم طوّروه فاكتشفوا خطوط الطول والعرض وسرعة الصوت والضوء، حتى أصبح ذلك مرجعًا لعلماء الغرب.
- ✓ وتمكن (البيروني) من اكتشاف دوران الأرض حول الشمس، وهو ما أثبته العالم الأوروبي (جاليليو) بعد ستة قرون.
- ✓ وترجم الفلكيون العرب الثلاثة (الزرقالي، والفرغاني، والفزاري) مؤلفات (بطليموس) في الفلك، وأضافوا إليها ما بات مرجعًا بعدهم للفلكيين الغربيين.

• في مجال علوم الطب:

- ✓ تفوق المسلمون في فنون الشفاء التي كانت معروفة في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين. وكان (ابن سينا) أول من أشار إلى الطب العقلي، وهو ما أصبح فيما بعد أساسًا لعلم النفس.
- ✓ وكانت مؤلفات (الرازي) المتقدمة في الطب مرجعًا للأوربيين حتى وقت متأخر من (القرن السادس عشر) الميلادي.
- ✓ كما ظل الأوروبيون حتى القرن (السابع عشر) الميلادي يتعلمون من نظريات (ابن سينا) الطبية.
- ✓ واشتهر عند المسلمين أيضاً أمر التداوي بالأعشاب والمواد الطبيعية (من ثوم ، ومُر، وماء الزهر، وغيرها)، فكانت تزخر بها صيدلياتهم؛ ومنها انتشرت إلى الشرق الأوسط فأوروبا.

• في مجال فن العمارة:

- ✓ عرف المسلمون طرازًا معماريًا تجسد في بناء المساجد، ممّا عده الغربيون فيما بعد نماذج هندسية في فن البناء.
- ✓ ويعترف علماء الغرب أن (الجامع الأموي) في دمشق و(جامع ابن طولون) في القاهرة؛ كانا أساسًا لبناء عدة كاثدرائيات ضخمة في أوروبا.
- ✓ وقد تأثر فن البناء الغربي كثيرًا ببناء المآذن والأقواس والقناطر والأهِلة والأطراف والمثلثات والمنحنيات المعكوسة وهندسة القباب والمكعبات، ممّا أخذه الأوروبيون عن مساجد مكة والقدس والقاهرة ودمشق.
- ✓ وكان لفن الزخرفة والخط والنقوش تأثير كبير على الأوروبيين؛ خاصة ما تركه العرب في الأندلس (كقصر الحمراء والجامع الكبير في قرطبة).

• في مجال علم الجغرافيا:

- ✓ كان للمسلمين تأثير كبير على الغرب في هذا المجال.

- ✓ وبرع (الإدريسي) خلال القرن الثاني عشر الميلادي بابتكاراته ومكتشفاته، حيث وضع أول أطلس في العالم، حاوياً سبعين خريطة، بعضها لمناطق لم تكن معروفة من قبل.
- ✓ وكانت رحلات (ابن بطوطة) وتدويناته خير معين للأوروبيين على معرفة مناطق جغرافية لم يكونوا يعرفونها.
- ✓ وفي القرن (السادس عشر) الميلادي، تمكن (حسن الوزان) من كشف مجاهل إفريقيا؛ ويدين له الغرب بذلك، ويُعْرَف عندهم باسم (ليون الإفريقي).

- في مجال الفلسفة:

نقل المفكرون المسلمون أهم مصادر الفلسفة المشرقية واليونانية القديمة ترجمة وتطويراً.

- ✓ فاشتهر (الكندي) بتطوير فلسفة (أفلاطون) و(أرسطو).
- ✓ واشتهر (الفارابي) بفكرة المدينة الفاضلة.
- ✓ واشتهر (ابن سينا) بفلسفته العقلية.
- ✓ واشتهر (ابن خلدون) بنظرياته الاجتماعية التي لم تزل حتى اليوم في أصل مؤلفات الكثيرين من الفلاسفة الاجتماعيين الغربيين.
- ✓ واشتهر (ابن رشد) بفلسفته التي ارتكز عليها بعده فلاسفة غربيون كبار في فهم الفلسفة الإغريقية الأرسطية، واستمر تأثيره إلى عصر (كانط) في بداية القرن (التاسع عشر) الميلادي.

- في مجال فن الجنائن والحدائق:

- ✓ برع المسلمون في هذا المجال؛ فاستفاد الغرب منهم كثيراً فيه؛ فقد بات كتاب (الفلاحة الأندلسية؛ لابن العوام) مرجعاً أوروبياً في علم النبات؛ لأنه وصف فيه نحو خمسمائة نبتة وبيَّن طريقة زراعتها والاعتناء بها وبالأرض والتربة.
- ✓ وكذلك ظل الأوروبيون لوقت طويل يستفيدون من العرب (وخاصَّة الأندلسيين) في فنون حفظ: الخضروات والفواكه والأزهار، ومواد التجميل، ومساحيق الوجه والعطور والتطيُّب، والجواهر والحُلي.

- في مجال الملاحة:

أبدع المسلمون في هذا المجال؛ وقد استعان المستكشف الأوروبي (فاسكو دي جاما) خلال رحلاته الشهيرة بالملاح العربي (أحمد بن ماجد) وجعله البحار الرئيسي في القيادة.

- في مجال الحرفيات الدقيقة والمُنَمْنَمات:

- ✓ برع المسلمون في الحرفيات الدقيقة والمُنَمْنَمات، وفي الزجاجيات والخزف والحفر والبلَّور ومزج الألوان وصباغة الحرير والأقمشة والجلود والدباغة وصقل الحديد.
- ✓ وقد استفاد الغرب منهم كثيراً بهذا الخصوص، ولم تزل بعض هذه الخامات والحرف تحمل في الغرب اسمها الأصلي (دمقس، حرير دمشقي، دباغة مغربية، أزرق محمدي)، ويرُدها بعض الغربيين صراحة لأصلها العربي.
- ✓ وقد أخذ الغربيون كذلك جمالية الخط العربي متأثرين باللغة العربية نفسها؛ لذلك دخلت كلمات وعبارات عربية كثيرة إلى عدة لغات أوروبية، ولم تزل حتى اليوم في نسيج هذه اللغات (مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والألمانية).

- وهذا غيض من فيض مِمّا للمسلمين فيه السبق والابتكار، وتم نقله إلى الغرب بعد ذلك. وفي مكتبات العالم اليوم آلاف الوثائق التي تشهد بالفضل للمنجزات الحضارية الإسلامية في حقول: الفلك، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والطب، والصيدلة، والجغرافيا، والعمارة، والموسيقى، وما كان لهم من تأثير في تصنيع النسيج، والورق، والدهان، والصابون، والحبر، والشمع، والسكر، والنشاء، والزيوت النباتية، والعطور، والبارود، وكذلك في اكتشاف أو تطوير: الميزان، وعقرب الساعة،

والساعة المائية، والطاحونة المائية، والهوائية، والآلات الفلكية، وأجهزة (سكب المعادن وصك النقود) والمعدات الحربية، والأدوات الطبية والجراحية، وكذلك بناء (الجسور والقنوات المكشوفة) وجَرّ المياه، والتدفئة والتبريد، وأنظمة الري، والحمامات العامة، وأبراج المراقبة، والتحصينات العسكرية، وسواها من المنشآت والإنشاءات والابتكارات والاكتشافات!

- ❑ استفادة الغرب من منجزات الحضارة الإسلامية في الأندلس .

- فَتحَ العرب المسلمون بلاد الأندلس بقيادة (طارق بن زياد) في رمضان عام (٩٢هـ - ٧١١م)، بعد أن انتصروا على جيوش القوط، وأسّسوا دولة إسلامية حكمت ثمانية قرون من الزمان، تمتد من نهاية (القرن الأول) حتى نهاية (القرن الثامن) الهجريين (٩٢ - ٧٩٨هـ)، الموافق للفترة من القرن (الثامن) حتى نهاية القرن (الخامس عشر) الميلاديين (٧١١ - ١٤٩٢م).
- وقد أدّت الأندلس، دوراً مهماً في نقل منجزات الحضارة الإسلامية من الشرق الإسلامي إلى الغرب النصراني، حيث حملت مشاعل الفكر والمعرفة مضيئة ما حولها من ظلام الغرب وتخلّفه، قبل أنْ يبدأ ما عُرف بعصر النهضة، الذي كانت (أوروبا) تعيش قبله مرحلة تاريخية عُرِفت لدى المؤرخين بالعصور المظلمة.
  - وقد شملت الحضارة الإسلامية في الأندلس مجالات متعددة؛ فكانت بها مدارس للطب والهندسة والرياضيات والعلوم، ومستشفيات ومعامل للكيمياء ومراصد للفلك، وكانت جامعة قرطبة منارة شامخة للفكر والثقافة. وقد نقل العلماء الأندلسيون إلى الغرب كل معطيات الحضارة الإسلامية خلال زياراتهم للجامعات الأوروبية (سواء الإسبانية أو الفرنسية أو غيرها)، أو خلال تدريسهم للطلاب الأوروبيين القادمين لتلقي العلم في الأندلس.
  - كما طورت مصانع (شاطبة) صناعة الورق - بعد اكتشافه في الصين - وتم انتقاله عن طريقها إلى إيطاليا في القرن (الثالث عشر) الميلادي، ومنها إلى فرنسا وإنجلترا في القرن (السادس عشر) الميلادي؛ فكان أعظم عامل في النهضة الأوروبية.
  - وصنع المسلمون الأندلسيون البارود واستعملوه في حروبهم البحرية سنة (٩٠٦م)، وفي حصارهم لصقلية سنة (٩٧٢م)، وعنهم أخذه الغربيون.

ثانياً : دور المستشرقين في نقل علوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم إلى (أوروبا)

- أدّى المستشرقون دوراً بارزاً في عملية نقل علوم المسلمين وصناعاتهم واكتشافاتهم إلى (أوروبا)، وقد تعددت طرق عملية النقل تلك؛ فمنها – على سبيل المثال لا الحصر- ما يأتي: -

١. طريق الأندلس؛ حيث توافدت البعثات الأوروبية (الشخصية والرسمية) على مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس.

أ- فمثلاً اعتمدت جميع مراكز التعليم في (أوروبا) على قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة؛ حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها، ويقضون فيها السنوات الطوال؛ في الدراسة والاطلاع على مؤلفات المسلمين، وكان في مقدمة هؤلاء الراهب الفرنسي المستشرق (جربرت دي أورياك)؛ الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ)، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء، وحينما عاد إلى وطنه، - بعد أنْ بلغ من العلم مبلغاً - خُيّل لعامة فرنسا حينذاك أنّه ساحر .

ب- كما أرسلت إلى الأندلس بعثات ذات طابع رسمي من قبل حكومات بعض الدول الأوروبية، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى؛ حتى بلغت في عهد الخليفة الناصر (سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة.

ج- ولم يقتصر الأمر على البعثات الموجهة من الغرب إلى بلاد المسلمين، بل قام بعض ملوك أوروبا باستقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والعمران؛ فخلال القرن (الثالث) الهجري (التاسع الميلادي) وما بعده وَقَّعَت حكومات هولندا وسكسونيا وإنجلترا عقوداً مع حوالي تسعين أستاذاً بمختلف العلوم من الأساتذة المسلمين الأندلسيين للتدريس لديها، وقد اختير هؤلاء من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين الاسبانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية .

٢. طريق الترجمة:

أ- فخلال الفترة الممتدة من منتصف (القرن الخامس) إلى أواخر (القرن السابع) الهجريين (منتصف القرن الحادي عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر الميلاديين)؛ تم ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية، كما تم أيضاً ترجمة العلوم العربية الإسلامية؛وذلك من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، وإلى غيرها من اللغات الأوروبية. وقد أثَّر ذلك تأثيراً إيجابياً كبيراً في نهضة (أوروبا)، ونقلها من عصر الظلام والتخلف إلى عصر الانبعاث والتقدم، وكان للمستشرقين دور كبير في إثراء هذه الوسيلة والتحفيز عليها.

ب- وقد كان من أقدم المترجمين الأوروبيين وأعظمهم كل من: المترجم (أديلارد أوف بان)، والمترجم (مايكل سكوت).

ثالثاً :افتراق المستشرقين(بخصوص الاعتراف بفضل المسلمين العلمي على أوروبا)إلى فريقين :

❑ الفريق الأول؛ الجاحدون المنكرون:

وهؤلاء فئة كثيرة؛ أعماهم تعصبهم عن إبصار الحقيقة الماثلة أمامهم فجحدوها، ودفعهم حقدهم على الإسلام وأهله إلى إنكار النتاج العلمي لعلماء المسلمين فتجاهلوه وطمسوا معالمه.

❑ الفريق الثاني؛ المُقِرّون المعترفون:

وهؤلاء فئة قليلة؛ أقرّوا بالحقيقة الماثلة أمامهم، واعترفوا بفضل العلماء المسلمين في حفظ التراث العلمي الإنساني من الضياع، ونقل العلم الإغريقي وغيره إلى اللغة العربية، ثم الإضافة إليه والزيادة عليه، وشهدوا للمسلمين بالفضل العلمي على أوروبا. فمن شهادات هذه الفئة القليلة: -

I. شهادة المستشرق جوستاف لوبون؛ الواردة في كتابه (حضارة العرب)، وفيما يأتي مقتطفات منها: -

أ- قال: " وكلما أمعنا في دراسة حضارة العرب والمسلمين وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم؛ ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأيتهم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإنَّ جامعات الغرب لم تعرف لها - مدة خمسة قرون - مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وإنَّهم هم الذين مَدَّنوا أوروبا مادةً وعقلاً وأخلاقاً، وإنَّ التاريخ لم يعرف أمَّة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وإنَّه لم يَفُقْهُم قوم في الإبداع الفني ".

ب- وقال: " ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما [أي: الشرق والغرب]

مدينان لهم في تَمَدُّنِهم، وإنَّ هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذَّبوا بتأثيرهم الخُلُقِ البرابرة، وفتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية؛ فكانوا مُمَدِّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون، فقد ظلت ترجمات كتب العرب - ولا سِيَّما الكتب العلمية – مصدراً وحيداً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة؛ فعلى العالم أنْ يعترف للعرب والمسلمين بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة ".

ج- وقال: " ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخلوا الحضارة إليها، إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر الميلاديين - حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانيا ساطعة جداً- رأينا أنَّ مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرءون، وأنَّ أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في أديرتهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع ".

II. شهادة المستشرق وِلْ ديورانت؛ الواردة في كتابه (قصة الحضارة)، وفيما يأتي مقتطفات منها: -

أ- قال: " وقد تأثر الصليبيون بروعة الزجاج المنقوش في بلاد الإسلام، وربَّما كان من نتائج تأثرهم بها أنَّهم نقلوا من بلاد الشرق الأسرار الفنية التي أدت إلى تحسين الزجاج الملون الذي نشاهده اليوم في الكنائس ".

ب- وقال: " وقد أخذ الأوروبيون أيضاً فكرة صناعة الطواحين المائية، حيث عُرفت لأول مرة في أوروبا الغربية عام (١١٠٥م)؛ أي مع بداية الحروب الصليبية، بعد أنْ شاهد المسيحيون سعة انتشارها ".

III. شهادة المستشرقة زيجريد هونكة؛ الواردة في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، وفيما يأتي مقتطفات منها: -

أ- قالت: " لقد شاء الله أنْ يظهر من الأوروبيين من ينادي بالحقيقة والإنصاف ولا يبخس العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثاً. إنَّ هذا النفر من الأوروبيين المنصفين، لا يأبه بتحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها ".

ب- وقالت: " إنَّ أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية، وإنَّ الديَّنْ الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً، وكان يجب على أوروبا أنْ تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، ولكنَّ التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة حتى إننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة؛ اللهم إلا هذه الإشارة العابرة إلى أنَّ دور العرب، لا يتعدى دور ساعي البريد، الذي نقل إليهم التراث اليوناني ".

ج- وقالت: " إنّها سُبَّةٌ أنْ يعلم أهل العلم من الأوروبيين، أنَّ العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل، وأنَّ هذه النهضة فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ولا يقدرون هذا.

إنَّ العرب ظلوا ثمانية قرون طوال، يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة ، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية، إنَّهم ذهبوا في أقاصي البلاد ودانيها، سواء في (آسيا) أو (إفريقيا) أو (أوروبا)، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل ".

بحمد الله

يسرني ويشرفني تلقي ملاحظاتكم واقتراحاتكم

على

@QalmalkiQ

واجبات المقرر

الواجب الأول

١-إحدى العبارات الأتية تحتوي على معلومات صائبة ، وهي عبارة : ؟

أ) كتاب (الاستشراق والدراسات الإسلامية) هو من تأليف عبدالقهار داود العاني .

ب) كتاب (الاستشراق والدراسات الإسلامية) هو من تأليف : إدوارد سعيد .

ج)كتاب (الاستشراق والدراسات الإسلامية) هو من تأليف : سالم ياقوت .

د)كتاب (الاستشراق والدراسات الإسلامية) هو من تأليف : يوهان فوك .

٢-عاش الغرب النصراني خلال العصور الوسطى مرحلة تاريخية عُرفت لدى المؤرخين بأسم ؟

أ) العصور المشرقة ب) العصور المثمرة ج)العصور المزدهرة د) العصور المظلمة

٣-المترجم الذي تعلم اللغة العربية في الأندلس ، ثم دخل في خدمة ملك صقلية (فردريك الثاني)،وترجم العلوم والفلسفة من العربية ، هو ؟

أ) أديلارد أوف بان ب) مايكل سكوت ج) جيرار الكريموني د)روبرت أوف كيتون

الواجب الثاني

١-يرى المفكر الإسلامي (أحمد الحليبي) أن الهدف الديني للاستشراق كان بحق هدفاً صليبياً بَل :

أ)ويمكن – برايه أيضاَ – تسميته بالهدف القاتل .

ب) ويمكن – برايه أيضاَ – تسميته بالهدف المخيق .

ج) ويمكن – برايه أيضاَ – تسميته بالهدف الأسود .

د) ويمكن – برايه أيضاَ – تسميته بالهدف الأحمر .

٢-مستشرق مُنِصف ، أسلم وغيّر أسمه إلى (محمجد أسد) ، ذلك هو ؟

أ) المستشرق (روجيه جارودي) .

ب) المستشرق (ليوبلد فايس) .

ج) المستشرق (دانين دينيه) .

د) المستشرق جوج سارتون) .

٣-مستشرق متعصب ، يعجُ كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) بالمُغالطات والافتراءات على الإسلام ؟

أ)ذلك هو : المستشرق (هنري لامانس) .

ب) ذلك هو : المستشرق (ريموند لول) .

ج) ذلك هو : المستشرق (الكونت دوفولني) .

د) ذلك هو : المستشرق (كارل بروكلمان) .

الواجب الثالث

١-عرفت من دراستك لأبرز فِيات المستشرقين على القرآن : أن إحدى العبارات الأتية غير صحيحة ؟

أ) وهي عبارة : (جولد زيهر) و(جوستاف لوبون) أنصفا القرآن الكريم ، فمدحاه وأقرّا بأنه كتاب الله .

ب) وهي عبارة : طعن (جولد زيهر) و(جوستاف لوبون) في مصدر القرآن الكريم ، فأنكرا أنه كتاب الله.

ج) وهي عبارة : الدارس المتفحص لا يجد في القرآن الكريم أية ملامح يهودية .

د) وهي عبارة : الدارس المتفحص لا يجد في القرآن الكريم تأثيراً للنصرانية .

٢-أفرد مستشرق – في أواخر القرن (١٧) الميلادي – (السنة النبوي) بدراسة مستقلة خاصة بها ؟

أ)ويدعى ذلك المستشرق : (سبرنجر) .

ب) ويدعى ذلك المستشرق : (هربلو) .

ج) ويدعى ذلك المستشرق : (ميورت) .

د) ويدعى ذلك المستشرق : (كايتاني) .

٣-واحد من الكتب الأربعة الأتية ألفه المستشرق (نويل كولسون) وهو كتاب ؟

أ)العقيدة والشريعة في الإسلام .

ب)حضارة العرب .

ج)في تاريخ التشريع الإسلامي .

د)الموقف الديني والحياة في الإسلام .

٤-مستشرق زعم أن الإمام الشافعي هو من جعل السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ؟

أ)ذلك هو المستشرق (نويل كولسون).

ب) ذلك هو المستشرق (إجناز جولد زيهر).

ج) ذلك هو المستشرق (جوزيف شاخت).

د) ذلك هو المستشرق (هاملتون جب).